المُحْكَم والمُتشَابه في القرآن الكريم

بين انحِراف الفهْم وتصحِيح المفَاهِيم

دراسة تفسيرية نقدية مقارنة

إعداد الدكتور

كرم عبد الستار أحمد محمد رضوان

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بقنا

جامعة الأزهر

المحكم والمتشابه في القرآن الكريم بين انحراف الفهم وتصحيح المفاهيم
دراسة تفسيرية نقدية مقارنة

كرم عبد الستار أحمد محمد رضوان

قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بقنا، جامعة الأزهر، مصر.

البريد الإليكتروني: karam-ahmed. 2080@azhar. edu. eg

الملخص:

يتناول هذا البحث أبرز الاتجاهات المنحرفة في التفسير بسبب الفهم السقيم للمحكم والمتشابه في القرآن الكريم، وتهدف هذه الدراسة إلي بيان جانب من أسباب وآثار هذه الطرق المنحرفة في فهم بعض آيات القرآن الكريم، وكيفية علاجها؛ وهو الفهم السقيم للمحكم والمتشابه في القرآن الكريم بوضع المحكم بدلا من المتشابه والمتشابه مكان المحكم خدمة لمذاهب وأفكار معينة، وتشنيعا على المخالفين بتكفيرهم وتضليلهم وتفسيقهم، كما تسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن آثار هذا الفهم في اتساع هوة الخلاف بين الفِرَق الإسلامية حتى كاد يكفر بعضها بعضا، وتلبيس الأمر على عوام الناس لاستناد الفرقاء إلى أسس شرعية متشابهة في الظاهر دون الرجوع بها إلى المحكم. وتجتهد الدراسة في تصحيح المفاهيم بهذا الطريق المستقيم، والتأكيد علي إيراد بعض النماذج التطبيقية للتأويلات المنحرفة للمحكم والمتشابه من قبل بعض الفرق والمذاهب من الروافض والخوارج والمعتزلة والحداثيين بسبب الفهم السقيم والمخالفة الصريحة للقواعد الصحيحة المعتمدة عند بيان القرآن الكريم. وتطلب السير في البحث تقسيمه- بعد المقدمة والتمهيد- إلى فصلين يتضمن الأول منهما: الجانب النظري، والثاني الجانب التطبيقي ثم خاتمة تعتمد: نتائج البحث وتوصياته، وأهم المصادر والمراجع، متبعًا المنهج التكاملي: (الاستنباطي-التحليلي-النقدي-المقارن)

الكلمات الافتتاحية: المحكم- المتشابه- الانحراف- التصحيح- المفاهيم- الخوارج- المعتزلة - الروافض - الحداثيون

.

The Precise and Similar Verses of the Holy Qur'an in between Misperception and Reformation of the Concept A comparative، critical and interpretive Study

By: Karam Abdel- Sattar Ahmed Mohammed Radwan
Department of Interpretation and Qur'anic Sciences
Faculty of Islamic and Arabic Studies for Men in Qena
Azhar University

Abstract

This research studies the most outstanding deviated attitudes of interpretation relying on the misperception of the precise and similar verses of the Holy Qur'an. The research aims at highlighting the causes and effects of such deviated attitudes towards perceiving some verses of the Holy Qur'an، tackling them and the misperception of the precise and similar verses of the Holy Qur'an putting one in place of the other solely to serve certain ideologies or tendencies as well as defaming the violators by declaring them infidel and corrupt. In addition، this research traces the impact of such perception upon the widened gap of controversy in between the Islamic groups to the extent that some of them declared the other infidel. As for the common people، they have become confused because the opponents have considered and identified، seemingly، similar legitimate principles without going back to the precise verses. The research seeks reforming such concepts along a straight and definite pathway focusing on the intrusion of applied examples of the deviated interpretations of the precise and similar verses by means of some groups and schools of the Rafidites (rejectors)، Khawarij (dissenters)، Mu'tazila (isolationists) and the modernists because of misperception and the clear violation of the true and identified rules while interpreting the Holy Qur'an. The research applies an integrated methodology that includes the deductive، analytical، critical and comparative approaches. The research consists of an introduction، a preamble and two chapters. The first chapter contains the theoretical framework while the second one displays the practical aspect. The conclusion comes after the second chapter، and it highlights the findings of the research and the recommendations. Then the research closes with the sources and references.

Key words: the precise and similar verses، deviation، reformation، concepts، Khawarij (dissenters)، Mu'tazila (isolationists)، the Rafidites (rejectors) the modernists

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمـــة

الحمد لله الذي ضَمّن كتابه طرَق الهداية، ودلّ عليها أهلَ الولاية؛ فأوصلتهم لأحسن غاية، وضل عنها أهلُ الغواية حيث تخلت عنهم عين العناية؛ فتاهوا في دروب بلا نهاية، والصـلاة والسـلام على رسول الإنسانية، وهادي البشرية، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن سار على منهجهم من البرية، وبعد؛

فلقد نص القرآن صراحة على أن آياته قد اشتملت على المحكمات والمتشابهات، وأن المؤمن يعتمدهما على السـواء دون ريب. والمتشـابه من الآيات يتوقف فيه حتى يُعرض على المحكمات فيتبين أفضـل بيان، أو ينغلق أمره لاسـتئثار الله به؛ فيكل حقيقته إلى الله تعالى بعد إيمانه به، وأن غير المؤمن-لزيغ قلبه- يتتبع المتشـابهات لا بهدف بيانها، ولكن ابتغاء الفتنة في دين الله؛ بالتأويل الفاسـد لآيات الكتاب المبين. والمتأمل في الآيات المتشـابهات يرى أن التشـابه إنما هومن جهة المتلقِّين لها وليس إلى الآيات ذاتها بدلالة أنها قد تشتبه على البعض دون البعض الآخر، بل قد تشتبه على شخص بعينه ثم تنفتح له. وقضية المحكم والمتشابه التي ضمنها القرآن آياته لم يكن فهمها محل خلاف بين الرعيل الأول، ولم يقفوا أمام المراد منها كثيرا، وذلك لكمال عقيدتهم، وسـلامة ألسـنتهم، ولأنهم أعرف الناس بدلالات القرآن الكريم، فانقضـى عصـرهم ولم يُعلم بوجود خلاف حقيقي بينهم، كما قال الجويني رحمه الله: "وقد درج صـحب النبي- ﷺ -على ترك التعرض لمعانيها، ودرْك ما فيها، وهم صفوة الإسلام والمستقلون بأعباء الشريعة وكانوا لا يألون جهدا في ضبط قواعد الملة والتواصي بحفظها وتعليم الناس ما يحتاجون إليه"[(١)] ولما أطلت المذهبية؛ العقدية منها والسـياسـية برأسـها، وطفت الحداثية على سطح الفكر، واصطبغت -بالتأويل الفاسد- آراء كثير من أصحابها ممن اتبعوا

(١) - العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية، تأليف: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، ص٢٣-٢٤، تحقيق: أحمد حجازي السقا، القاهرة، مكتب الكليات الأزهري، ١٣٩٨ م ، ط: ١.

-لزيغ قلوبهم- ما تشابه من الآيات، رد المؤمنون عامة وأهل التأويل منهم خاصة المتشابهات إلى المحكمات، وآمنوا بجميع الآيات: المحكم منها والمتشابه، واتخذها أصحاب البدع والضلالات مطيّة ومرتعا ومتّكآت؛ فأوّلوا المتشابه حسب أهوائهم، وجعلوه منهل مذاهبهم ومردّ أفكارهم حتى غدت هذه الفرق "لا تعتمد في الأغلب إلا على الآيات المتشابهة في مذاهبها، وتجعله من أوكد أسباب ثباتها على ذلك"(١)

قال الشاطبي-في معرض حديثه عن مآخذ أهل البدع في الاستدلال-: "كل خارج عن السنة ممن يدعي الدخول فيها والكون من أهلها لا بد له من تكلف في الاستدلال بأدلتها على خصوصيات مسائلهم وإلا كذب اطراحها دعواهم"(٢)، وعن دور التلفيق في أمر المحكم والمتشابه بتوجيهه لأغراض محددة قال ابن عقيلة المكي: "واعلم أن هذا موضع عظيم، فنقول: إن كل أحد من أصحاب المذاهب يدعي أن الآيات الموافقة لمذهبه محكمة، وأن الآيات الموافقة لقول خصمه متشابهة...؛ فلا بد هاهنا من قانون يرجع إليه في هذا الباب(٣)، وبعد مطالعتي-المتواضعة- لأصول ومبادئ وأفكار كثير من أصحاب الفرق المخالفة في بيانها للتفسير الصحيح في القديم والحديث، التي اتخذت القرآن عضين بأخذ بعضه وترك بعضه تأكد لدي أن مبدأ نشأ الانحراف هو التمسك بالآيات المتشابهات بتأويلها على غير المراد، بل إن معظم الاختلاف بين الأقوال التفسيرية إنما مرجعه الى بيان المتشابه من القرآن ودلالات معرفته، ومن هنا رأيت أنه من الضرورة بمكان تحقيق وتأصيل مصطلح المحكم والمتشابه في القرآن، والوقوف على صحة فهم الآيات به، وبيان آثار الانحراف في فهمه الصحيح على الفِرَق والأفراد والأفكار والأعمال؛ فعزمت على كتابة هذا البحث المتواضع. فـ"اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطرَ السموات والأرض، عالم الغيب

(١) - المغني في أبواب التوحيد والعدل، (إعجاز القرآن) للقاضي عبدالجبار صـ ٣٧١، تحقيق: أمين الخولي، مطابع وزارة الثقافة، في: ١٩٦٠م.

(٢) - الاعتصام، المؤلف: أبو إسحاق الشاطبي، ١/ ٢٢٠، المكتبة التجارية الكبرى-مصر.

(٣) - الزيادة والإحسان في علوم القرآن لابن عقيلة المكي، ٥/ ١٦، مركز البحوث بجامعة الشارقة، ط: ١ في ٢٠١٦م.

والشـــهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدنا لما اختُلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم[١].

أهمية البحث: تكمن أهمية البحث في أمور لعل من أهمها:

أنه يعالج جانبا من أخطر جوانب التأويل في القرآن الكريم؛ بالوقوف على المنهج الصـحيح في التعامل مع المحكم والمتشـــابه من القرآن، وبيان أهمية التأويل الصـــحيح المنضـــبط، والتحذير من التأويل الفاسد المنفلت، وكشف خطورة وأضرار مناهج المخالفين لأهل السنة في التعلق بمتشابه القرآن.

أسباب اختياري موضوع البحث

١ – ما سبق ذكره في أهمية البحث.

٢ –أصالة باب المحكم والمتشابه في علوم القرآن.

٣–اشتراك كثير من العلوم في هذا الباب لأهميته وخطورة الانحراف فيه.

٤ـ ما يترتب على معرفة حقيقة المحكم والمتشابه من فهم القضايا العقدية والفقهية ونحوهما.

٥ – كشف عوار الفهم السقيم عند أصحاب المذاهب المخالفة للتحذير منها.

أهداف البحث، وهي كثيرة، ومن أهمها:

١ –الإسـهام في خدمة القرآن ببيان جانب من علومه لمحاولة الوقوف على مراد الله– سـبحانه وتعالى – من كلامه.

٢ –الوقوف على منهج الســلف في فهم المحكم والمتشـــابه والدعوة إلى اتباعه وكشـــف ســـوء فهم المغالين والتحذير من اقتفائه.

٣–بيان أن منشـأ الفهم السـقيم عند المخالفين إما عداوة الدين، أو اتباع المذهبية البغيضـة، أو اللهث وراء الفكر المنحرف.

---

(١) – هذا من دعاء النبي–صـلى الله عليه وسـلم– الذي كان يسـتفتح به صـلاته بالليل، أخرجه مسـلم؛ أبو الحسـين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري في صحيحه كتاب الصلاة، باب الدُّعَاءِ فِي صَلاَةِ اللَّيْلِ وَقِيَامِهِ، ح: ١٨٤٧، الناشر: دار الجيل بيروت –دار الأفاق الجديدة- بيروت.

٤ـ غربلة الأقوال الفاسدة في استخدام متشابه القرآن وردّها بطرق علمية تجمع بين المنقول والمعقول.

الدراسات السابقة:

شغلت قضية المحكم والمتشابه فكر العلماء في وقت مبكر؛ فتكاملت كثير من العلوم مثل علوم القرآن والأصول واللغة والكلام في بيانها، وكتبت في ذلك مؤلفات وبحوث، ومن الدراسات الحديثة:

١ -المحكم والمتشابه في القرآن للدكتور إبراهيم خليفة وهي رسالة دكتوراه في جامعة الأزهر نوقشت عام: ١٩٧٣م، وقد بذل فيها الباحث قصارى جهده في الأقوال الواردة في بيان حد المحكم والمتشابه ومناقشتها وركز على متشابه الصفات ورد ما ورد عليها من شبهات.

٢- المحكم والمتشابه في القرآن الكريم، المؤلف: محمد متولي إدريس-رسالة ماجستير-غير منشورة- بجامعة الأزهر.

٣- المحكم والمتشابه وأثرهما في التفسير، من الجزء الثالث عشر حتى الجزء الخامس عشر، تأليف: إسلام محمد، رسالة ماجستير بجامعة أفريقيا العالمية بجمهورية السودان عام ٢٠١٧م، وهي سلسلة رسائل، ولم أتمكن إلا من مطالعة هذا الجزء.

٤- المحكم والمتشابه في التكفير والجهاد، تأليف د/ محمد بن عمر بازمول، وقد عالج المؤلف قضيتين من أهم القضايا التي ألمت بالأمة الإسلامية وهما: التكفير والجهاد، وكيف كان للفهم السقيم للمحكم والمتشابه الدور الرئيس في الانحراف في الفهم الصحيح لهاتين القضيتين.

والفرق بين بحثي هذا وهذه البحوث: أن هذه البحوث قد تناولت المحكم والمتشابه من حيث تعريفهما وأقسامهما، وأسباب الاختلاف بينها، والآثار المترتبة على هذا الاختلاف، وقد اتفقت مع هذه البحوث في هذا الجانب النظري إلا أنني اجتهدت في اختيار أصح الأقوال وأقربها إلى الصواب، كما أن بحثي هذا قد تميز بجمعه بين الجانبين النظري والتطبيقي باختيار نماذج من مذاهب وأفكار مخالفة لأهل السنة والجماعة بفهم سقيم للمحكم والمتشابه في القرآن الكريم، والرد عليها بما تيسر من المنقول والمعقول.

الفصل الأول

المحكم والمتشابه في القرآن تأصيل وبيان

توطئة: ما من شك في أن للمشابه في القرآن حضوراً كحضور المحكم، ويتجلى ذلك في قول الله- تعالى{ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ }[(١)]، وهذه مسألة يكاد يُجمع عليها قديما وحديثا، وقد أخذت مجالا واسعا في الفكر الإسلامي باعتبارها من أخطر المسائل التي يمكن ولوجها لما يترتب عليها من آثار على العقائد والعبادات، ومن هنا فقد برز للتأليف في المتشابه القرآني مجموعة من الأفاضل في وقت مبكر[(٢)]، كما تبارت للبحث فيه علوم متعددة لعل أبرزها: علوم القرآن، وأصول الفقه، وعلوم اللغة، وعلم الكلام. بل إن العلم بالمتشابهات من أهم شروط الاجتهاد والإفتاء كما قرر ذلك الشافعي بقوله: " لا يحل لأحد أن يفتي في دين الله إلا رجلا عارفا بكتاب الله: بناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، وتأويله وتنزيله، ومكيه ومدنيه، وما أريد به، وفيما أنزل... "[(٣)].

ولا يُعنَى هذا البحث كثيرا بالوقوف أمام الجانب المعرفي للمتشابهات في القرآن لثبوتها قطعا لكنه يُعنَى بكيفية قراءة وفهم المحكم والمتشابه، واستخدامه عند البعض لخدمة فكر محدد أو مذهب معين؛ باختيار نماذج من المذاهب قد أصابها سوء الفهم عن قصد أو جهل؛ فحجب الرؤية الصحيحة، والرد بتصحيح هذه الاتجاهات المنحرفة عن المسار الصحيح. والله ولي التوفيق

---

(١) - سورة آل عمران الآية ٧.

(٢) - أورد ابن النديم مجموعة من المؤلفات في متشابه القرآن منذ القرن الثاني الهجري، وذكر منها: كتاب مقاتل بن سليمان البلخي المتوفى: ١٥٠هـ، وكتاب: حمزة الزيات -المتوفى: ١٥٤هـ وكتاب: نافع المدني-المتوفى: ١٦٩هـ، وكتاب أبي علي الجُبّائي، المتوفى ٣٠٣هـ (ينظر: الفهرست لابن النديم صـ ٥٥/ ٥٦) وهكذا توالت المؤلفات في المتشابهات إلى يومنا هذا.

(٣) - الفقيه والمتفقه، المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي، المعروف بالخطيب البغدادي- المتوفى: ٤٦٣هـ، ٢/ ٣٤، المحقق: عادل بن يوسف العزازي، الناشر: دار ابن الجوزي بالسعودية، سنة ١٤١٧هـ.

المبحث الأول

المحكم والمتشابه من منظورهما : اللغوي والاصطلاحي

أولا : المحكم والمتشابه في جانبهما اللغوي :

المعنى اللغوي للمحكم :

المتأمل في مفهوم (المُحكَم) في المعاجم اللغوية يجد حضورا بارزا لمعنيين رئيسيين يترتب أحدهما على الآخر على سبيل التلازم والتكامل هما: المنع والإتقان. جاء في مقاييس اللغة: (الحاء والكاف والميم) أصلٌ واحد، وهو المنْع. وأوّل ذلك الحُكْم، وهو المَنْع من الظُّلْم[١] قال ابن منظور في لسان العرب: الحَكَمُ والحَكِيمُ وهما بمعنى الحاكِم وهو القاضي فَهو فعِيلٌ بمعنى فاعَلٍ أو هو الذي يُحْكِمُ لأَشياءَ ويتقنها فهو فَعِيلٌ بمعنى مُفْعِلٍ...، وعن صفة القرآن يقول: المُحْكَمُ الذي لا اختلاف فيه ولا اضطراب فَعِيلٌ بمعنى مُفْعَلٍ أُحْكِمَ فهو مُحْكَمٌ وقيل: هو ما لم يكن متشابهًا لأنه أحكم بيانه بنفسه ولم يفتقر إلى غيره[٢]، وسمي الحاكم حاكما لمنعه الظالم من الظلم، وسميت الحِكمة حكمة؛ لأنها تمنع من الجهل، ولمنعها النفس عن هواها [٣]، والحكيم: المتقِن للأمور[٤] وكُلُّ شَيْءٍ مَنَعْتَه من الفَسَادِ: فقد حَكَمْتَه وأَحْكَمْتَه [٥].

---

(١) – معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، المحقق: عبد السلام محمد هارون، ٢/ ٩١، مادة: "حكم"، الناشر: دار الفكر، الطبعة: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

(٢) – لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، ١٢/ ١٤٠، مادة: "حكم"، الناشر: دار صادر–بيروت، ط: ١.

(٣) – ينظر: المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، صـ ٢٥١، مادة: حكم، تحقيق: صفوان عدنان داودي، ط: ٢في ١٤١٨هـ، دار القلم– دمشق، والدار الشامية– بيروت، وتحرير ألفاظ التنبيه (لغة الفقه)، المؤلف: يحيى بن شرف بن مري النووي أبو زكريا، ١/ ٣٣١، الناشر: دار القلم–دمشق، ط: ١في، ١٤٠٨هـ.

(٤) – الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تأليف إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ٧/ ٢٠٣، دار العلم للملايين– لبنان، الطبعة الأولى القاهرة ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٦ م، والطبعة الرابعة ١٩٨٧ م.

(٥) – معجم العين، المؤلف: الخليل بن أحمد الفراهيدي.

المعنى اللغوي للمتشابه: عند سبر أغوار المعاجم اللغوية لمادة: (ش- ب- هـ) يتبين أنها تدور حول معنيين الأول: المماثلة، والثاني: المشاكلة والالتباس، وعند التدقيق لا يوجد اختلاف بين المعنيين؛ فالشيئان قد يتماثلان حتى يتشاكلا ويلتبسا من شدة التماثل، ولعل المعنى اللغوي الأول؛ (المماثلة) هو الأصل، قال ابن فارس في مادة: " ش ب هـ" الشين والباء والهاء أصل واحد يدل على تشابه الشيء وتشاكله لونا ووصفا... [١]، وفي هذا الصدد ينقل ابن منظور عن ابن الأعرابي قوله: "وشبه الشَّيء إذا أشكل وشبه إذا ساوى بيْن شيء وشيءً. قال: وسألته عن قوله: {وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا}[٢] فقال: لُيس من الاشتباه المشكل إنما هو من التشابه الذي هو بمعنى الاستواء[٣]، ولعل هذا المفهوم اللغوي قد يحل كثيرا من المشكلات التي اشتبهت على الكثير في معنى متشابه القرآن. وأصل التشابه أن يشبه اللفظُ في الظاهر والمعنيان مختلفان...، ومنه يقال: اشتبه عليّ الأمر إذا أشبه غيره فلم تكد تفرق بينهما وشبهتَ عليّ إذا لبست الحق بالباطل ومنه قُيل لأصحاب المخاريق أصحاب الشُّبه لأنهم يُشبهون الباطل بالحق ثم يقال لكل ما غمض ودق متشابه وإن لم تقع الحُيرة فُيه من جهة الشبه بغُيره... [٤]. والمشبهات من الأمور: المشكلات، قال تعالى: {وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ }[٥]، وقال تعالى: { وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا}[٦]أي يشبه بعضه بعضا لونا وشكلا، لا طعما وحقيقة، وشبّه الشيء إذا أشكل، وشبه إذا ساوى بين شيء وشيء ومنه قوله تعالى حكاية عن بني إسرائيل{ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا }[٧]أي تماثل والتبس،

(١) – معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، ٣/ ٢٤٣، تحقيق: عبد السلام هارون ط: ٣، مكتبة الخانجي- القاهرة في ١٩٨١م.

(٢) – سورة البقرة من الآية ٢٥.

(٣) – لسان العرب لابن منظور مادة: (شبه).

(٤) – تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، صـ ١٠١-١٠٢، شرح: السيد أحمد صقر، مكتبة: دار التراث –القاهرة، ط: ٢

(٥) – سورة النساء من الآية ١٥٧.

(٦) – سورة البقرة من الآية ٢٥.

(٧) – سورة البقرة من الآية ٧٠.

فلا ندري أي بقرة نذبح، وقوله تعالى {تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ}[1]أي: في الغي والجهالة، واشتبه الأمر عليه: اختلط، والمتشابه: النص القرآني يحتمل عدة معان[2].

ولعل المعنى الثاني للتشابه: (الالتباس) قد اكتسب أصالته من المعنى الأول: (المماثلة) لاستلزامه له وترتبه عليه غالبا، قال ابن فارس" والمشتبهات من المشكلات، واشتبه الأمران إذا أشكلا"[3].

ثانيا: تعريف المحكم والمتشابه في الاصطلاح: لبيان حقيقة المحكم والمتشابه لا بد أولاً من الوقوف على أمور ثلاثة: الأول منها: معرفة إطلاقات المحكم والمتشابه، ولهما إطلاقان: عام وخاص وبهما يتحدد المراد من كل منهما:

١ـ المحكم بإطلاقه العام: -: وهو المتقن الذي لا خلل يعتريه ولا شبهة تعترضه، والقرآن بهذا المفهوم كله مُحكم، ومما يدل على ذلك قول الله تعالى {تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ}[4]، والقرآن جميعه بهذه الدلالة لا يعتريه نقص ولا يقربه ريب لصدقه وسلامته من التناقض والاختلاف لفظا ومعنى.

٢-المتشابه بإطلاقه العام: وهو المتقن الذي لا خلل يعتريه ولا شبهة تعترضه، والقرآن بهذا المفهوم كله مُحكم، ومما يدل على ذلك قول الله تعالى {تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ

(١) – سورة البقرة من الآية ١١٩.

(٢) – ينظر: لسان العرب، مادة (شبّه) ١٣/ ٥٠٣، ومعجم مقاييس اللغة، ابن فارس ٣/ ٢٤٣، والقاموس المحيط، الفيروز آبادي ٣/ ١٧٠، والمحكم والمحيط الأعظم، المؤلف: ابن سيده، والاعتصام لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، عناية محمد رشيد رضا، في ١٤٠٦هـ دار المعرفة، والمفردات في غريب القرآن، للراغب ٢٥ــ٢٥٨ وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروز آبادي ٣/ ٢٩٣، والمعجم الوسيط ١/ ٤٧١، والموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ. ٩٢/ ٣٦ الكويت.

(٣) – معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٣/ ٢٤٣.

(٤) – سورة يونس من الآية ١.

الْحَكِيمِ }[١]، والقرآن جميعه بهذه الدلالة لا يعتريه نقص ولا يقربه ريب لصدقه وسلامته من التناقض والاختلاف لفظا ومعنى.

٣-**المتشابه بإطلاقه العام**: وهو ما يعني التماثل في أنه يشبه بعضه بعضا في الحق، وفيما هو مُحَكم من الضبط وعدم التناقض، وعليه قوله-تعالى{ اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا }[١]،والمعنى أنّه يتشابه في الحسن والبلاغة والحقيّة [٢] والقرآن بهذه الدلالة أيضا- جميعه متشابه في الإتقان والبيان والإحكام وعدم التناقض.

٤- **المحكم والمتشابه** بإطلاقهما الخاص، وهو ما يدور عليه فلك آية الباب وهي قوله تعالى {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ }[٣] والآية قسمت آيات القرآن إلى: آيات محكمات هي أصل الكتاب بدلالاتها الواضحة على المراد، ومتشابهات: تحتمل دلالتها موافقة المحكم، وقد تحتمل شيئًا آخر من حيث اللفظ والتركيب، لا من حيث المراد [٤].

وعلى ذلك: فلا تعارض بين وصف القرآن لآياته مرة بالإحكام ومرة بالتشابه وثالثة باشتماله عليهما معا.

الثاني: يبدو جليا أنه إذا ورد لفظ المحكم دون اقترانه بالمتشابه فإنما يراد به المتقن غاية الإتقان (محكم عام)، كما إذا جاء المتشابه منفردا فإنما يراد به المتماثل في الإتقان(متشابه عام)، أما إذا جاء اللفظان مقترنين؛ فهذا موطن اختلاف العلماء وتباين أقوالهم في بيان حقيقتهما والمراد من كل منهما.

الثالث: علاقة الوقف والابتداء في آية آل عمران بالمعنى التفسيري لها: وللمفسرين في الوقوف في قول الله تعالى{ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا

(١) - سورة يونس من الآية ١.

(١) -سورة الزمر من الآية ٢٣.

(٢) - التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ٣/ ١٥٦، دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس - ١٩٩٧ م.

(٣) - سورة آل عمران الآية ٧.

(٤) - يراجع: تفسير ابن كثير (٢ / ٧)، وفتح القدير (١ / ٣٦٠).

أُولُو الْأَلْبَابِ }[1] قولان: الأول عند لفظ الجلالة {الله} وهو عندهم وقف تام، وهؤلاء يذهبون إلى أن علم المتشابه قد استأثر الله به، وهو معزو لجمهور العلماء[2]، والثاني: أن الوقف عند لفظ {العلم}، وهؤلاء يرون أن الراسخين في العلم يعلمون تأويل المتشابه[3]، وقد ترتب على ذلك: الاختلاف في مفهوم المتشابه، وتعددت الأقوال في بيان حقيقته.

وعند إمعان النظر وتحقيق الفكر لا يوجد اختلاف بين الآراء؛ فإذا أريد بالمتشابه حقائق الأشياء ونهاية دلالتها نحو حقائق صفات الله وكيفياتها، وحقائق أوصاف ما يكون في اليوم الآخر ونحو ذلك؛ فهو من المتشابهات التي لا يمكن الوقوف عليها، وهنا يتم الوقف عند لفظ الجلالة "الله"{ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ }؛ فالمؤمنون يعلنون الإيمان به ويدعون الله بأن يحفظ قلوبهم من الزيغ، وأما غير المؤمنين فيتبعون- لزيغ قلوبهم- ما تشابه طلبا للفتنة بتأويله تأويلا فاسدا، ومن يدخل في العلم بالمتشابه: الراسخين في العلم فيرى أن المتشابه يعلمه الله وكذا الراسخون في العلم برده إلى المحكم بعيدا عن حقيقتهما؛ إما بالميل بهما إلى وظيفتهما، وإما ببيان ما لهما من دور في الأحكام، وإما بإيراد

---

(١) - سورة آل عمران الآية ٧.

(٢) - يراجع: إيضاح الوقف والابتداء لابن الأنباري؛ محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الانباري، المتوفى: ٣٢٨هـ، جـ٢ صـ ٥٦٥، تحقيق: محيي الدين رمضان، ط: مجمع اللغة العربية بدمشق في ١٣٩٠هـ.، ومعاني القرآن للنحاس؛ أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي المصري، أبو جعفر المتوفى: ٣٣٨هـ، جـ١ صـ ٣٥١، تحقيق: محمد الصابوني، ط: ١ في ١٤٠٩هـ.، والمكتفي في الوقف والابتداء، المؤلف: عثمان بن سعيد بن عثمان، أبو عمرو الداني (ص: ٣٧، (ذكر أنه يصدقه قراءة ابن مسعود: "ويقول الراسخون في العلم "، توفي: ٤٤٤هـ، حققه: محيي الدين رمضان، دار عمان، ط: ١ في ١٤٢٢هـ. والنشر في القراءات العشر، المؤلف: محمد بن محمد الدمشقي، الشهير بابن الجزري، المتوفي سنة ٨٣٣هـ، جـ ١ صـ ٢٢٧، وذكر أنه قول ابن عباس، وعائشة، وابن مسعود، وغيرهم، ومذهب أبي حنيفة، وأكثر أهل الحديث، و به قال نافع، والكسائي، ويعقوب، والفراء، والأخفش، وأبو حاتم، وسواهم، أشرف على تصحيحه ومراجعته الشيخ: على الضباع شيخ عموم المقارئ المصرية، ط: دار الكتب العلمية-بيروت.

(٣) - انظر: إعراب القرآن للنحاس ١ / ١٤٤، وقال: " هذا أحسن ما قيل فيه ". وإيضاح الوقف والابتداء ١/ ٢٢٧، والنشر، صـ٣٨، والمكتفى، ٢/ ٥٦٦.

نماذج وأمثلة لهما، وإما بالميل نحو المتشابه حقيقة مع المحكم حقيقة... [١]، وفي دراسة حديثة ضمن محاولات التوفيق بين الأقوال في المعنى والمراد من المحكم والمتشابه في القرآن يقول الدكتور/ طاهر يعقوب: " عند التأمل وإمعان النظر في معنى التأويل وإطلاقه عند السلف الصالح ينحل هذا الإشكال ويزول الخلاف، ويمكن أن يجمع بين القولين، وهو أن لفظ التأويل في اصطلاح السلف يطلق على معنيين وهما:

الأول: تأويل بمعنى العاقبة والحقيقة التي يؤول إليها الأمر؛ فإن أريد بالتأويل هذا المعنى فالوقف على لفظ الجلالة، والمتشابه لا يعلمه إلا الله بمعنى لا يعلم حقيقته التي هو عليها إلا الله، وذلك كأسماء الله تعالى وصفاته وحقائق اليوم الآخر...

الثاني: تأويل بمعنى التفسير والتوضيح والتعبير عن الشيء، وكل فهم لتأويل للراسخين يعني هذا المعنى، وعلى هذا فيكون الوقف على قوله {وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ}.

والمتشابه هو ما يخفى على بعض الناس فيعلمه الراسخون في العلم مع كامل إيمانهم بأنه من عند الله كالآيات المحكمات تماما، ومع كون تأويلهم متفقا مع النصوص البينات الواضحات.... [٢]

ومع كثرة الأقوال في بيان حقيقة المحكم والمتشابه حسب الاتجاهات، ومع بيان أن جلها لا تناقض بينها إلا أن قولان للعلماء أجدهما الأقربيْن إلى المراد، والأحريين بالاتباع: لغرابته أو اشتراكه، وإن

---

(١) - يراجع: جامع البيا ن في تأويل القرآن، جـ ٦ ص ١٧٤: ٢٢٠. المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي؛ أبو جعفر الطبري، المتوفى: - ٣١٠ هـ، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى في، ٢٠٠٠ م، و تفسير ابن كثير ٢ / ٧، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي المتوفى: ٧٧٤هـ، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م، (والموافقات ٣ / ٣٠٥، الموافقات - تأليف: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي، المتوفى: ٧٩٠هـ دراسة وتحقيق أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر:، دار ابن عفان، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.

(٢) - من بحث بعنوان: المحكم والمتشابه وموقف المفسر منهما، في مجلة الإيضاح العدد: ٣٢لعام ٢٠١٦م، صـ ٢٤٩، للدكتور: طاهر محمود محمد يعقوب.

كان مركبا فمرجع التشابه فيه يكون إما لاختصار الكلام ،أو لبسطه أو لنظمه. وذكر أن ما كان التشابه فيه من جهة المعنى واللفظ معا فمرده إلى خمسة وجوه: أما من جهة الكمية، وإما من جهة الكيفية، وإما من جهة الزمان، وإما من جهة المكان، وإما من جهة شروط الصحة، وضرب لكل ذلك أمثلة من القرآن الكريم، ثم ذكر أن المتشابه بكل أنواعه وصوره لا يخرج عن واحد من أنواع ثلاثة:

الأول منهما مقسِّم للتعريف جامع لأنواعه وهو للراغب الأصفهاني في مفرداته حيث قال عن المحكم: " مالا يعرض فيه شبهة من حيث اللفظ ولا من حيث المعنى"[(١)]. وعند الحديث عن المتشابه عرض فأجاد وفرع فأفاد وقال-مفصلا-عن المتشابه من القرآن" ما أشكل تفسيره لمشابهته بغيره إما من حيث اللفظ أو من حيث المعنى"[(٢)] وبيّن أن الآيات عند اعتبار بعضها ببعض تتنوع إلى أضرب ثلاثة: محكم على الإطلاق، ومتشابه على الإطلاق ومحكم من وجه ومتشابه من وجه، وبين أن الذي ينتج عن ذلك أن التشابه يأتي من جهات ثلاثة؛ من جهة اللفظ فقط، أو من جهة المعنى فقط، أو من جهتهما معا.

الأول: ما لا سبيل إلى معرفته بحال من الأحوال، وضرب له أمثلة، منها: وقت قيام الساعة، والثاني ما للإنسان على معرفته سبيل كالوقوف على معاني الألفاظ الغريبة، والثالث: ما لا يوقف عليه إلا الراسخين في العلم[(٣)] وهذا البيان متقن حيث لا يخرج عنه التشابه في جميع صوره، وقد شهد ببراعة هذا العرض وذلك السرد الدكتور محمد بكر إسماعيل؛ فبعد أن عرض له قال: انتهى كلام الراغب فأنهى إلينا ما كنا نبتغيه في تفسير المتشابه وتمييزه عن المحكم بتعريف جامع لأطرافه ومسائله، مانع من دخول غيره فيه، لم يترك الباحث فيه على ظمأ حتى ارتوى، وقريب منه قول الإمام الرازي ومن نحا

(١) – المفردات في غريب القران تأليف أبى القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني المتوفى سنة ٥٠٢ هـ ١/ ١٢٨، مادة: حكم.

(٢) – المرجع السابق: ١/ ٢٥٤، مادة: شبه.

(٣) – ينظر: المرجع السابق ١/ ٢٥٤/ ٢٥٥، مادة: شه.

نحوه [١].

*- وثاني القولين في معرفة حقيقة المحكم والمتشابه، هو للفخر الرازي، وهو يتميز بالإحكام مع التفصيل؛ فبعد أن ذكر تقسيما للفظ الموضوع لمعني من حيث احتمال اللفظ لمعنى آخر غير الموضوع له أو لا، ومدى هذه الاحتمالية قوة وضعفا، قال: اللفظ إما أن يكون نصًا أو ظاهراً أو مؤولاً أو مشتركًا أو مجملاً أما النص والظاهر فيشتركان في حصول الترجيح إلا أن النص راجح مانع من الغير والظاهر راجح غير مانع من الغير فهذا القدر المشترك هو المسمى بالمحكم.، وأما المجمل والمؤول فهما مشتركان في أن دلالة اللفظ عليه غير راجحة وإن لم يكن راجحًا لكنه غير مرجوح والمؤول مع أنه غير راجح فهو مرجوح لا بحسب الدليل المنفرد فهذا القدر المشترك هو المسمى بالمتشابه" [٢].

وهذا التعريف بهذا التحليل والتقسيم قد رضيه كثير ممن جاء بعد الفخر الرازي، وممن رجح ما ذكره الرازي مع الإشارة إلى أنه اختيار كثير من المحققين: الزرقاني في مناهل العرفان، وذلك بعد عرضه لكثير من الأقوال في بيان حقيقة المحكم والمتشابه، كما نوه إلى أنه لا يرى بينها تناقضا أو تعارضا بل تشابها وتقاربا [٣]، ولعل محاولة أصحاب المذاهب استخدام المحكم والمتشابه في خدمة أغراضهم ما جعلت الفخر الرازي يضع تعريفا يعد بمثابة القانون الذي يحفظ على المحكم والمتشابه وضعهما في الموضع اللائق بهما مما جعل كثيرا ممن جاءوا بعده يرتضونه، وممن شهد لهذا التعريف ووصفه بأنه أشد التعريفات تفصيلا: الدكتور: إبراهيم خليفة؛ فقد قال معقبًا: وخلاصة هذا القول أن المحكم ما كان راجح الدلالة على معناه بنفسه، احتمل مرجوحا كالظاهر أو لم يحتمل كالنص،

(١) - دراسات في علوم القرآن، د/ محمد بكر إسماعيل، المتوفى ١٤٢٦هـ، صـ ١٨٥، ط: ٢ دار المنار، في ١٩٩٩م.

(٢) - مفاتيح الغيب ـــ المؤلف: فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، المتوفى: ٦٠٦هـــ، دار الكتب العلمية-بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م، الطبعة: الأولى.

(٣) - يراجع: مناهل العرفان، محمد عبدالعظيم الزرقاني ٢/ ١٩٤ فما بعدها، مبحث المحكم والمتشابه، دار الفكر- بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات.

والمتشـابه ما ليس كذلك أي ما كان غير راجح الدلالة بنفسـه؛ مرجوحا كان كالمؤول، أو مسـتوي الدلالة كالمجمل، وهو كلام سـديد[١] وتأتي شـهادة أسـتاذنا بعد وضـعه-بدقته المعهودة-: قوانين ضـابطة لمعرفة المحكم والمتشـابه وردِّه بعد المناقشـة لكثير من الأقوال الضـابطة لحقيقة المحكم والمتشـابه، واسـتعانتِه بكثير من عبارات العلماء لاختيار أصـح الأقوال في بيان المحكم والمتشـابه[٢]، والتعريفان ينطلقان من أن دلالة المحكم على معناه واضـحة لا خفاء معها، وأن المتشـابه ما يحتاج إلى الدلالة المرجحة لخلوه منها، والمحكم ما كانت دلالته راجحة وهو النص والظاهر أما المتشـابه فما كانت دلالته غير راجحة وهو المجمل والمؤول والمشكل[٣].

(١) - المحكم والمتشابه في القرآن الكريم، تأليف: الدكتور إبراهيم عبدالرحمن محمد خليفة صـ ١٩٥-١٩٦، وهي في الأصل رسالته العالمية(الدكتوراه) وطبعت بدار النهضة للنشر بمصر ط: ١ في ٢٠١٢م.

(٢) - يراجع: المرجع السابق من صـ ٧٤ إلى ١٩٥.

(٣) - يراجع: مباحث في علوم القرآن، د/ صبحي الصالح، ١/ ٢٨١، الناشر: دار العلم للملايين، ط: ٢٤ في ٢٠٠٠م، ودراسات في علوم القرآن د- محمد بكر إسماعيل ١/ ١٨٣-١٨٥، الناشر: دار المنار، ط: ٢ في ١٩٩٩م.

المبحث الثاني

الفهم الخاطئ للمحكم والمتشابه في التفسير: النشأة والأسباب والمظاهر

توطئة:

إشكالية الاختلاف في بيان حد المتشابه والجواب عنها: من أبجديات فهم النصوص وعلى رأسها القرآن أن ينطلق من لغة النص.، ومن هنا يبرز سؤال على الساحة التفسيرية ومناهج المفسرين، هل انطلق التفسير لمتشابه القرآن من المعنى اللغوي الأول: (التماثل) أم من الثاني: (الالتباس)؟ والمطالع للتفاسير في القديم والحديث يجد المعنيين حاضرين حسب اتجاه ومنهج كل مفسر، ولما كان تعيين الآيات المتشابهات لم يرد به نص من كتاب أوسنة، ولم يصل إلينا إجماع على آيات بعينها أنها من المتشابه-على حد علمي-، كما أن فهم هذين المصطلحين قد يخضع لفكر ومذهب المفسر لذا كان الجمع أو التقريب أو الترجيح بين هذه الفهوم المتباينة واجب شرعي لفهم صحيح للقرآن.، وما من مسلم إلا ويعتقد أن القرآن بكل آياته مصدر الهداية ومنبع التقويم مصداقا لقول الله تعالى{ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ }[١] وقد كان للمتشابه في القرآن وتوجيهه الأثر البيّن في تشكل وتوجه الفرق الإسلامية؛ فاتخذت منه منطلقا لأفكارها ومصدرا لمبادئها لدرجة جعلت القاضي عبد الجبار يجعل المتشابهات من أوكد القواعد التي تُبنى عليها المذاهب بل وتعدها من أعظم أسباب قوتها وثباتها[٢] كما كان لأعداء الإسلام في وجود المتشابهات منطلق لمحاولة النيل من القرآن من هذه المسألة ورأوا في ذلك بغيتهم للطعن فيه.، وصار وجود المتشابه في القرآن من أكبر المطاعن التي حاول الأعداء توجيهها إلى القرآن الكريم، والملاحظ أن تلك الشبهات إنما مردها إلى الفهم السقيم للمحكم والمتشابه في القرآن الكريم، وهذا المدخل للطعن في القرآن من خلال باب المتشابه فيه هو ما أكده العلماء قديما وحديثا.

---

(١) - سورة الإسراء من الآية ٩.

(٢) - يراجع: المغني في أبواب العدل والتوحيد، المؤلف: القاضي أبو الحسن عبد الجبار جـ١٦ (إعجاز القرآن) صـ٣٤٥، تحقيق: أمين الخولي، وإشراف طه حسين، مطابع وزارة الثقافة -القاهرة في ١٩٦م.

المطلب الأول: منشأ الخطأ في فهم المحكم والمتشابه:

أرجع أحد الباحثين المعاصرين منشأ فكرة المحكم والمتشابه على التعارض باعتبارهما مرادفين للوضوح والغموض للهروب من حمل التكاليف، وهو يُرجع الفهم السقيم للمتشابه حينما يعَد في معنى الغامض الملتبس، وهو يود الوصول إلى نتيجة مفادها: أن القول بوجود متشابه في القرآن بمعنى الملتبس وهْمٌ لا أصل له بل يخالف مقصد القرآن في الهداية والبيان[١] كما أراد أن يفرق – حسب رؤيته – بين لسان العرب ولسان القرآن العربي، ونتيجة لذلك فقد تأثرت مقولات كثير من أئمة التفسير من مختلف المذاهب بمدلولات اللغة، وتأولوا لها مدلولات القرآن، كما تأثر بعض المفسرين في بيانهم ومناهجهم للمحكم والمتشابه بما لهم من عناية بالمناهج العقلية والاتجاهات الفلسفية [٢] وهذا القول فيه نظر بيّن حيث يرى صاحبه أن التشابه الذي يعني الالتباس والغموض لا وجود له في القرآن وهو قول مخالف لما عليه العلماء قديما وحديثا، كما أن الالتباس الذي يصاحب المتشابه والذي على إثره نفى الباحث وجود المتشابه في القرآن هو التباس عند المتلقي وليس في الآيات ذاتها، كما أنه أمرٌ نسبي؛ فما يراه البعض متشابها قد لا يراه الآخر كذلك، بل قد يشتبه اللفظ أو الآية على شخص بعينه ثم يزول عنده هذا لتشابه فتصبح الآية عنده محكمة. كما زعم البعض خلو القرآن من المتشابه مطلقا وعلى أي حال، فقال محتجا:... أما إذا قيل إن من القرآن ما هو متشابه لا يدنو منه نظر، ولا يتجه إليه عقل، فإن في ذلك: من شأنه أن يمزق وحدة القرآن، وأن يقيم فيه الحواجز والسدود، وأن يجعل بعضه قرآنا، وبعضه أصواتا تنطق ولا تفهم!...؛ فهو إيمان عجز واستسلام...، الإيمان بالمتشابه إيمان قلق مذعور ليس له جذور تمسك به قلب صاحبه[٣] وكما هو واضح أن حجة هذا القول أن وجود المتشابه يمزق وحدة الأمة "

---

(١) – نحو موقف قرآني من إشكالية المحكم والمتشابه، المؤلف: د/ طه العلواني: صـ ١٥ فما بعدها، ط: دار السلام للطباعة والنشر والترجمة –القاهرة–مصر، في ٢٠١٠م.

(٢) – السابق: صـ ١٧.

(٣) – من قضايا القرآن، المؤلف عبد الكريم بن يونس الخطيب صـ ٢٠٧–٢٠٨ باختصار نقلا عنه: المحكم والمتشابه وموقف المفسر منهما، للدكتور طاهر يعقوب، صـ ٢٥٤.

ولا شك أن هذا القول قد جانبه الصواب وخالف الحق فقد حكم صاحبه عقله ونظره مخالفا للنصوص الصريحة التي تدل على بطلان ما ذهب به عقله العاجز وفكره القاصر"[١].

ويمكن- من خلال التوطئة السالفة- تصنيف الأخطاء والانحرافات في التفسير بالفهم السقيم للمحكم والمتشابه في القرآن الكريم إلى أصناف ثلاثة: ١- النظر في القرآن بهدف غير شرعي لخدمة عقيدة معينة أو فكر بعينه وهذا الصنف من الناس لا يرجون إلا محاولة تصيد الأخطاء بالوقوف عند المتشابهات خدمة لعقائد ومذاهب غير إسلامية؛ وقد جاء الخطأ من حيث الدوافعُ والغايات؛ فهدفهم هدم الإسلام بهدم مصدره الأول وهو القرآن، والغاية خدمة عقائدهم ومذاهبهم، وهؤلاء مثل غير المنصفين من أهل الكتاب، وأصحاب المذاهب الباطلة من العلمانيين ومن على شاكلتهم، ولعل الحديث مع هؤلاء لا يجدي إلا لضرورة معينة لعدم وجود قواسم مشتركة وعلى رأسها قدسية القرآن واليقين بعدم تطرق النقص عليه، والإيمان بعدم تضارب آياته.

٢- النظر في القرآن بمنهج خاطئ خدمة لمذهب محدد أو فكر معين، وهؤلاء وإن كان خطؤهم أقل من سابقيهم لأن هدفهم ليس معاداة الإسلام، إلا أن الخطأ في الدخول إلى القرآن بمذاهب وأفكار ومحاولة تطويع الآيات لخدمتها، وهو منهج في غاية السوء لأن الأصل أن الآيات هي الأصل والمذاهب والأفكار تابعة لها وليس العكس، وهؤلاء يجب التحذير من تفاسيرهم لما تحمله من آراء لا تتوافق غالبا مع صحيح الدين، وإن كان أيضا يجب التحذير من تكفيرهم، وهؤلاء مثل الشيعة والمعتزلة والخوارج شريطة ألا يغالوا غلوا يخرجهم عن الملة، يقول الفخر الرازي - في هذا السياق: اعلم أن من الملاحدة من طعن في القرآن لأجل اشتماله على المتشابهات، وقال إنكم تقولون: إن تكاليف الخلق مرتبطة بهذا القرآن إلى قيام الساعة، ثم إنا نراه حيث يتمسك به كل صاحب مذهب على مذهبه؛ فالجبري يتمسك بآيات الجبر كقوله-تعالى{ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا }[٢]، والقدري يقول بل هذا مذهب الكفار بدليل أنه- تعالى- حكى ذلك عن الكفار في

(١) - المحكم والمتشابه وموقف المفسر منهما، للدكتور طاهر يعقوب، صـ ٢٥٤.

(٢) - سورة الأنعام من الآية ١٠٣.

معرض الذم لهم في قوله-تعالى {وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ }[١] وفي موضع آخر{وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ} [٢]، وأيضا مثبت الرؤية يتمسك بقوله: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ }[٣] والنافي يتمسك قوله{ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ }[٤]، ومثبت الجهة يتمسك قوله: { يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ } [٥] وبقوله { الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى }[٦]، والنافي يتمسك بقوله{ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}[٧] [٨].

٣- النظر في القرآن بمقصد ومنهج صحيحين لكن بطريقة يشوبها عدم الدقة والحيطة من عدم الالتزام ببعض شروط التفسير؛ فتأتي بعض آرائهم التفسيرية ليست على المستوى اللائق لقصور في استخدام هذه الشروط، وهذا لا يقلل من قيمة هذه التفاسير، وإن كان واجب العلماء: البحث والتنقيب في هذه الأقوال لتصفية التفاسير مما يعكر صفوها، وهذا مثل ما تقع فيه بعض المذاهب من الإفراط أو التفريط في استخدام المحكم والمتشابه، وبخاصة في آيات الصفات، يقول القرطبي عند تفسيره لقوله تعالى{فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ }[٩] بقوله: " قال شيخنا أبو العباس: متبعو المتشابه لا يخلو أن يتبعوه ويجمعوه طلبا للتشكيك في القرآن وإضلال العوام"[١٠].

---

(١) - سورة الأنعام من الآية ٢٥.

(٢) - سورة الإسراء من الآية ٤٦.

(٣) - سورة القيامة الآيتان ٢٢-٢٣.

(٤) - سورة الأنعام من الآية ١٠٣.

(٥) سورة النحل من الآية ٥٥.

(٦) - سورة طه من الآية ٥.

(٧) سورة الشورى من الآية ١١.

(٨)- تفسير الرازي م ٤٤-جـ ٧-صـ ١٤٨/ ١٤٩.

(٩) - سورة آل عمران من الآية ٧.

(١٠) - تفسير القرطبي ٤/ ١٥.

المطلب الثاني: أسباب الخطأ في التفسير بالفهم السقيم للمحكم والمتشابه في القرآن.

للخطأ في التفسير بالفهم السقيم للمحكم والمتشابه في القرآن أسباب كثيرة منها:

١ – فساد النية وسوء المقصد؛ فبعض من ينظرون في القرآن وتقع أعينهم على المتشابهات يطيرون بها–لسوء نياتهم وفساد مقاصدهم –ويملؤون الدنيا ضجيجا وينعقون بما تكنه صدورهم من حقد على الإسلام مدعين اشتمال القرآن على المتناقضات والأكاذيب.

٢ـ عدم الاتفاق على تحديد المعنى والمراد من كل من المحكم والمتشابه مما أدى بالبعض إلى إدخال ما هو من المحكم في حيز المتشابه أو التمسك بما هو متشابه على اعتبار أنه محكم؛ جهلا أو هوى، يقول الشوكاني: " واعلم أن الاضطراب الواقع في مقالات أهل العلم أسبابه اختلاف أقوالهم في تحقيق معنى المحكم والمتشابه[١].

٣–الدخول إلى القرآن بمذهبية سابقة وأفكار متقدمة وتفسير الآيات المحكمات والمتشابهات وفق ذلك؛ فما وافق ما ذهبوا إليه قبلوه وإن كان في الظاهر مخالفا لمقاصد القران وهداياته، وما خالف تمسكوا بمتشابهة وغضوا الطرف عن محكمه، أو أولوه حسب ما يعتقدون وإن كان صريحا في دلالته على خلاف ما يذهبون، يقول الشيخ أبو الأعلى المودودي: ينبغي على القارئ– قبل أن يبدأ دراسته للقرآن– أن يضع في ذهنه حقيقة مهمة؛ هي أن هذا الكتاب فريد في أصله وفصله، مختلف تمام الاختلاف عما اعتاد أن يقرأ من كتب.

٤ – تغليب الجانب العقلي علي حساب الجانب الأثري عند معاضته لمبادئ العقلانيين، وهذا ما يمثله اتجاه المعتزلة في القديم والعقلانيين الجدد.

٥ – بُعد أو استحالة الصلة بين النص وما فسر به، وذلك من منطلق حرص هذه الفرق على تأييد ما يذهبون إليه بتأويل الآيات وتحميلها ما لا تحتمل إما لبعد العلاقة بين النص وما يفسرونه به، وإما لاستحالته لمخالفته صحيح وصريح المنصوص عليه، قال الزركشي في معرض حديثه عن المحكم والمتشابه، وأن من الأسباب في الفهم السقيم للمحكم والمتشابه في القرآن الكريم وضع أحدهما بدلا

(١) – فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في التفسير للشوكاني؛ ١/ ٣١٧، ط: دار لفكر بيروت.

عن الآخر: "والناس قد اختلفوا فيهما كاختلافهم في المذاهب فالمحكم عند السني متشابه عند القدري"[١].

٦- تقديم المحتمل وهو من قبيل المتشابه على القطعي وهو من قبيل المحكم، مثل ورود بعض النصوص التي تحتمل تكفير صاحب الكبائر وخلوده في النار، وورود نصوص قطعية تنفي ذلك وتكل أمره إلى الله- تعالى- ومن هنا وجب رد المتشابه إلى المحكم إذ هو الأصل وتأويل المتشابه بما يتفق معه، كما أن تقديم الموجب للعلم على المؤدي إلى الظن من القواعد التي لا خلاف فيها الإفراط أو التفريط في اعتبار المتشابه أو نفيه، وذلك بالقول به دون اعتبار الدلالات المعنية من لغوية وعقلية وعرفية بضوابط شرعية، والإفراط أو التفريط في التعامل مع متشابه القرآن طرفان يحتاجان إلى تقويم، وقوام الأمر: التوسط بينهما بالأخذ به مع وجود الدلالات المعتبرة والاعتبارات المنضبطة.

المطلب الثالث: مظاهر الخطأ في التفسير بالفهم السقيم للمحكم والمتشابه في القرآن الكريم.

لا يمكن اعتبار وجود تشابه بمعنى تعارض بين آيات الكتاب مصداقا لقول الله تعالى { وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا }[٢] إلا أن ذلك خاضع لفهم المتلقي عقيدة وفكرا واتجاها ومنهجا، ومن هنا تتباين المظاهر وتتباعد.

أولا من صور التشابه عند أتباع الدين:

ذكر الشاطبي أسباب ومظاهر التشابه في آيات القرآن فقال: وسبب التشابه إما غرابة اللفظ، أو اشتراكه، أو ما فيه من إجمال، أو عموم، ونحو ذلك مما يستطيع الإنسان تمييزه بالبحث والتحقيق والمدارسة وجمع الأدلة [٣].

وصور التشابه كثيرة ولن يفي البحث بحصرها لكثرتها، وعدم اختصاص البحث بهذه المسألة، وإنما

(١) - البرهان في علوم القرآن للزركشي ٢/ ٧٦، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، ط: ٢ بيروت.

(٢) - سورة الزخرف من الآية ٨٢.

(٣) ينظر الموافقات للشاطبي، ٣/ ٣١٥.

ذكر نماذج منها: وقد قسّم العلماء منشأ التشابه وأسبابه إلى ثلاثة أقسام [١].

***- القسم الأول: -**

ما كان سبب التشابه فيه من جهة اللفظ (الشكل) فقط، أي راجع إلى خفاء في اللفظ وحده، وهو على ضربين:

أحدهما: يرجع السبب إلى اللفظ من جهة الإفراد. وثانيهما: يرجع إلى اللفظ من جهة التراكيب؛ فالذي يرجع إلى اللفظ من جهة الإفراد قسّمه العلماء على قسمين:

١-ما كان سبب التشابه فيه غرابة اللفظ وندرة استعماله، كلفظ الأب(بالتشديد) من قول الله-تعالى{وَفَاكِهَةً وَأَبًّا }[٢]، وهو ما ترعاه البهائم بدليل قول لله-تعالى{ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ }[٣].

٢- ما كان سبب التشابه فيه يرجع إلى اشتراك اللفظ في عدة معان في لغة العرب، كقوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾[٤]؛ فقد ورد في لغة العرب لفظ (قروء) بمعنى الطهر وبمعنى الحيض، وهذه الألفاظ وما شاكلها من المتشابه الذي لا يعرف معناها إلا من خلال السياق الذي وردت فيه، أو عن طريق القرائن التي حفّت بها.

والذي يرجع إلى اللفظ من جهة التراكيب، وهو على ثلاثة أضرب وموجزها:

ما كان التشابه من جهة الإيجاز والاختصار، ومنه: {فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ

---

(١) - ينظر: مفردات القرآن الراغب، ٢٥٧-٢٨٥، ويراجع: الإتقان في علوم القرآن، الإتقان في علوم القرآن المؤلف: جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، المتوفى ٩١١هـ، ٢/ ٦٦فما بعدها، النوع الثالث والأربعون، في المحكم والمتشابه دار النشر: دار الفكر - لبنان -- ١٩٩٦م، الطبعة: الأولى، تحقيق: سعيد المندوب، ومناهل العرفان، المؤلف: محمد عبد العظيم الزرقاني، المبحث الخامس عشر في محكم القرآن ومتشابهه، ٢/ ١٩٤ فما بعدها، الناشر: دار الفكر - بيروت، ٢/ ١٩٤، الطبعة الأولى، ١٩٩٦، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات.

(٢) سورة عبس الآية ٣١.

(٣) - سورة النازعات الآية ٣٣، والآية ٣٢ من سورة عبس.

(٤) سورة البقرة من الآية ١٢٨.

وَرُبَاعَ }[١]، والمعنى: وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى إذا تزوجتموهن فلا تتزوجوهن وانكحوا ما طاب لكم من النساء ما كان التشابه فيه من جهة بسط الكلام، ومنه: { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ }[٢].

ما كان التشابه فيه من جهة نظم الكلام مثل التقديم والتأخير، ومنه: { قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ}[٣].

- القسم الثاني:

**-ما كان التشابه فيه من جهتي اللفظ والمعني، وقد ذكر العلماء له أضربا خمسة:

***-ما كان التشابه فيه من جهة الكمية، مثل العموم والخصوص، ومنه: { وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ }[٤] وقوله{ لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا }[٥]؛ فالآية الثانية تفيد تخصيص الآية الأولى ما كان التشابه فيه من جهة الكيفية كالوجوب والندب والإباحة أو التحريم والكراهة، ومنه: { وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ }[٦] فالأمر في ظاهر الآية قد يقتضي الوجوب أو الندب أو الإباحة.

***-ما كان التشابه من جهة الزمان كالناسخ والمنسوخ، ومنه { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً }[٧]، وقال{ أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ

(١) - سورة النساء من الآية ٣.

(٢) - سورة الشورى من الآية ١١.

(٣) - سورة الكهف من الآية ٢.

(٤)- سورة البقرة من الآية ٢٨٤.

(٥) - سورة البقرة من الآية ٢٨٦.

(٦) - سورة النساء من الآية ٨.

(٧) - سورة الحجرات من الآية ١٢.

لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ }[١] وقد يبدو في الظاهر التعارض بين الآيتين ولذا قال بعض العلماء بنسخ الآية الأولى بالثانية ما كان التشابه من جهة الزمان والمكان معا، ومنه: { إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ }[٢] وقوله: { وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا }[٣].

***-ما كان التشابه من جهة الشروط ومنه: { الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ }[٤] فظاهر الآية يوحي بالأمر بالصلاة دون الوقوف على كيفياتها وشروطها.

-القسم الثالث:

المتشابه من جهة إدراك الحقائق الغائبة وهو يتعلق بالحقائق الغائبة عن الحواس البشرية؛ كحقيقة الذات الإلهية، وصفات الله-تعالى، أما المعنى والدلالات فالإنسان يدرك شيئا منها بما يتفق مع قدراته وإمكانياته.

ثانيا من صور التشابه عند الخصوم: - لقد أثارت قضية المتشابهات حفيظة أعداء الإسلام وحركت ضغائن الكراهية عندهم منذ وقت مبكر؛ فقد أورد البغوي في تفسيره عند قول الله- تعالى{ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ }[٥] عن ابن عباس-رضي الله عنهما- أن رهطا من اليهود منهم حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف ونظراؤهما، أتوا النبي (ﷺ) فقال له حيي: بلغنا أنه أنزل عليك {الم} فننشدك الله أنزلت عليك؟ قال: "نعم" قال: فإن كان ذلك حقا فإني

(١) - سورة الحجرات الآية ١٣.

(٢) - سورة البقرة من الآية ١٥٨.

(٣) - سورة البقرة من الآية ١٨٩.

(٤) - سورة البقرة من الآية ٣.

(٥) - سورة آل عمران من الآية ٧.

أعلم مدة ملك أمتك، هي إحدى وسبعون سنة... "[١]، كما عمد النصارى إلى هذا الفهم السقيم على عهد النبي الكريم؛ فقد ذكر الرازي أن النصارى قالوا للرسول (ﷺ) ألست تقول إن عيسى روح الله وكلمته فهذا يدل على أنه ابن الله فأجاب الله حيث يكون ظاهره مخالفًا للدليل العقلي كان من باب المتشابهات فوجب رده إلى التأويل وذلك هو المراد بقوله هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ [٢] ولعل هذا التشابه الذي يبدو في ظاهره التعارض بين آيات الكتاب هو الذي دفع بعض علماء المسلمين وبخاصة أهل التفسير واللغة منهم إلى التأليف في مشكل القرآن ومتشابهة ومن هؤلاء: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المتوفى: ٢٧٦هـ، وكتابه(تأويل مشكل القرآن) من أنفس الكتب في الرد على شبهات الملحدين وأعداء الدين الطاعنين في القرآن الكريم، مؤيدا ردوده بالأدلة النقلية والعقلية؛ فجاءت مقنعة غاية الإقناع لمن كان له عقل أو ألقى السمع وهو رشيد شهيد، وقد جعله في خمسة عشر بابا، وقد أبان عن غرضه من تأليفه كتابه هذا وهو الذود عن كتاب الله وما ناله من الملاحدة ومن على شاكلتهم فقال: وقد اعترض كتاب الله بالطعن ملحدون، ولغوا فيه، وهجروا واتبعوا ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله بأفهام كليلة وأبصار عليلة، ونظر مدخول فحرفوا الكلام عن مواضعه وعدلوه عن سبله ثم قضوا عليه بالتناقض والاستحالة واللحن وفساد النظم والاختلاف... فأحببت أن أنضح عن كتاب الله وأرمي من ورائه بالحجج النيرة والبراهين البينة وأكشف للناس ما يلبسون؛ فألفت هذا الكتاب جامعا لتأويل مشكل القرآن "[٣]، كما كان للإمام أحمد بن حنبل المتوفى: ٢٤١هـ، دور رائد في الذود عن القرآن ضد الزنادقة باتباعهم متشابه القرآن، وكتابه: (الرد على

---

(١) – معالم التنزيل، المؤلف: أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، المتوفى ٥١٦ هـ، ٢/ ٩،، المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر– عثمان جمعة ضميرية– سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة في: ١٩٩٧م.

(٢) – مفاتيح الغيب ــ المؤلف: فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، المتوفى: ٦٠٦هـ، ٧/ ١٤٣، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠ م، الطبعة: الأولى.

(٣) – مقدمة كتاب: تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة.

الزنادقة والجهمية فيما شكت فيه من متشابه القرآن وتأولته على غير تأويله) وقف صخرة تفتت عليها شبهات الأعداء[١]، كما جاء تفسير الرازي المتوفى: ٦٠٦هـ، المعروف بـ (مفاتيح الغيب) من أعظم التفاسير التي عرضت لشبهات الأعداء حول المتشابهات والرد عليها، ومن ذلك من أوره من شبهات الملحدين حول قول الله تعالى{فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ}[٢]، واشتباههم بأن ذلك خلل لفظي ومعنوي، أما اللفظي فإن مجموع السبعة مع الثلاثة هو عشرة فما فائدة قوله(عشرة) وأما المعنوي ففي ذكر(كاملة) مما يفهم منه أنه هناك عشرة كاملة وعشرة ناقصة، ولم يقل بذلك أحد، وقد أجاب الرازي-رحمه الله- عن هذه الشبهات التي وصف أصحابها بالملحدين؛ فألقهم حجرا، ومما أجاب به: أن في ذلك إزالة لما قد يترتب من إبهام في الآية، وأن في ذلك مساواة للبدل عن المبدل منه مما يدخل الطمأنينة على صاحب النسك، أن الآية بهذا البيان لن يدخلها التخصيص.... [٣]، وهذه نماذج فحسب من المتصديين للزائغين المتخذين من متشابه القرآن عضين، وما زالت المؤلفات تترا في الرد على زائغي القلوب في متشابه القرآن.

المطلب الرابع: مناهج المتبعين لمتشابه القرآن.

ليس من الإنصاف في شيء جعل المتبعين لمشابه القرآن في بوتقة واحدة بل لابد من التفصيل والتفريق وفي ذلك اتجاهان: - الأول الباحثون عن هدايات القرآن من خلال المتشابه وهؤلاء لصلاح نياتهم، وسلامة مقاصدهم فقد صلح عملهم بل عد من مطالب الدين ومسالك الفهم السليم لآيات القرآن الكريم، وكيف لا والبحث في المتشابه برده إلى المحكم من التأمل المأمور به في آيات القرآن

(١) - وقد خصص -رحمه الله- الباب الأول لبيان ما ضلت فيه الزنادقة والجهمية من متشابه القرآن والرد عليه، راجع: الرد على الزنادقة والجهمية، للإمام أحمد بن حنبل، صـ ١٧٥ فما بعدها، ط: غراس للنشر والتوزيع-الكويت الطبعة الأولى في ٢٠٠٥م.

(٢) - سورة البقرة من الآية ١٩٦.

(٣) -يراجع: مفاتيح الغيب للرازي ٥/ ١٣٣- ١٣٥.

لإزالة ما يلتبس فيه عند البعض، قال تعالى: {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا} [١]، وقال سبحانه: { أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا}[٢]، وقد جعل الله تدبر الآيات من أسمى الغايات؛ فقال تعالى{ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ}[٣] بل جعل القرطبي التناسب الدال على عدم الاختلاف وجها من وجوه الإعجاز فيه[٤]، وقال البيضاوي في معنى الآية الأولى: " ولو كان من عند غير الله: أي ولو كان من كلام البشر كما تزعم الكفار(لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا } من تناقض المعنى وتفاوت النظم وكان بعضه فصيحا وبعضه ركيكا وبعضه يصعب معارضته وبعضه يسهل ومطابقة بعض أخباره المستقبلة للواقع دون بعض وموافقة العقل لبعض أحكامه دون بعض على ما دل عليه الاستقراء لنقصان القوة البشرية ولعل ذكره ها هنا للتنبيه على أن اختلاف ما سبق من الأحكام ليس لتناقض في الحكم "[٥]، وبين ابن كثير: أن سبيل النجاة في فهم المتشابهات: ردها إلى المحكمات فقال: " فمن رد ما اشتبه إلى الواضح منه وحكم محكمه على متشابِه عنده فقد اهتدى، ومن عكس انعكس[٦] والمتأمل في الآية يرى أنها اقتصرت على بيان حال المتبعين لمتشابه القرآن ابتغاء الفتنة والتأويل السقيم، ولم تذكر حال المتبعين من أجل الوقوف على الحق برده إلى المحكم، ولعل ذلك من أجل بيان أنه أمر عارض لا يدندن حوله فضلا عن اقتحامه إلا من ملكت الضغائن قلوبهم وتربعت الأهواء على عروشها، أما الأصل فهو ردها إلى المحكم مع التسليم الكامل بأن المحكم والمتشابه جميعهما من عند الله، ولعل الغرض: "كشف

---

(١) – سورة النساء الآية ٨٢.

(٢) – سورة محمد الآية ٢٤.

(٣) – سورة ص الآية٢٩.

(٤) – مقدمة تفسير القرطبي ١/ ٧٥.

(٥) – تفسير البيضاوي، المؤلف: ناصر الدين أبو الخير عبدالله بن عمر بن محمد البيضاوي المتوفى ٦٨٥هـ، جـ ٢/ صـ ٢٢٥، ط: دار الفكر – بيروت، د. ت.

(٦) – تفسير القرآن العظيم لابن كثير؛ أبي الفداء إسماعيل بن عمر، المتوفى: ٢/ ٢٥٢، تحقيق: سامي سلامة

شبهة الذين غرتهم المتشابهات، ولم يهتدوا إلى حق تأويلها، ويعرف حال ق سيمهم وهم الذين لا زيغ في قلوبهم بطريق المقابلة، ثم سيصرح بإجمال حال المهتدين في تلقي متشابهات القرآن(١).

وقد وصف الله-تعالى إحكام الآيات ورد المتشابهات إليها بعدة صفات منها:

١- تقديم الآيات المحكمات في الذكر والتقسيم باعتبارها: الأعم الأغلب، وأن المتشابهات بالنسبة لها قليل، كما أنه نسبي، ووجوده مع قلته " تأكيد على بلاغة القرآن وسموه وإحكامه وإعجازه وليس نقصا في بلاغته وإحكامه كما ادعى الجاهل(٢).

٢-وصف الآيات المحكمات بأنها أم الكتاب أي أصله، مما يعني وجوب الرد إليها عند الاختلاف.

٣-عدم ذكر المتبعين للمتشابه بحق في التقسيم لأنه الأصل، ولشدة ظهوره؛ فقد ذكر الله-تعالى المتبعين للمتشابه بقلوب زائغة، ولم يذكر المتبعين له بحق؛ فقال: {فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله} جاء في التحرير والتنوير: "واقتصر في التفصيل على ذكر قسم من أقسامه: وهو حال الذين في قلوبهم زيغ كيف تلقيهم للمتشابهات؛ لأن بيان هذا هو الأهم في الغرض المسوق له الكلام، وهو كشف شبهة الذين غرتهم المتشابهات، ولم يهتدوا إلى حق تأويلها، ويعرف حال قسيمهم وهم الذين لا زيغ في قلوبهم بطريق المقابلة، ثم سيصرح بإجمال حال المهتدين في تلقي متشابهات القرآن(٣).

٤- وصف الله المتبعين للمتشابه بغرض البيان الحق بالراسخين في العلم؛ فهم" الثابتون فيه، العارفون بدقائقه: يحسنون مواقع التأويل ويعلمونه(٤)، وإذا كان الإنسان عنده رسوخ في العلم صار عنده

---

(١) - ينظر: التحرير والتنوير ٣/ ١٦١، الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، دار النشر: دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس - ١٩٩٧ م.

(٢) - القرآن ونقض مطاعن البرهان، صلاح عبدالفتاح الخالدي، ١/ ٦٣٩، دار النشر: دار القلم-دمشق، ط: ١ في ٢٠٠٧م.

(٣) -يراجع: التحرير والتنوير، جـ٣/ صـ ١٦١.

(٤) -يراجع: المرجع السابق نفس الصفحة.

ملكة يستطيع أن يقرب العلم بعضه من بعض، ويقيس ما لم ينص عليه على ما نُص عليه، ويكون العلم عنده كالطبيعة الراسخة[١].

***- الثاني: الزائغون باتباع المتشابه.**

نقل القرطبي في تفسيره عن شيخه أبي العباس أصناف المتبعين لمتشابه القرآن فقال: " متبعو المتشابه لا يخلو أن يتبعوه ويجعلوه طلبا للتشكيك في القرآن وإضلال العوام كما فعلته الزنادقة والقرامطة الطاعنون في القرآن، أو طلبا لاعتقاد ظواهر المتشابه، كما فعلته المجسمة الذين جمعوا ما في الكتاب والسنة مما ظاهره الجسمية حتى اعتقدوا أن البارئ تعالى جسم مجسم وصورة مصورة... أو يتبعوه على جهة إبداء تأويلاتها وإيضاح معانيها، أو كما فعل صبيغ حين أكثر على عمر في السؤال؛ فهذه أربعة أقسام...، ثم بين حكم كل فريق منهم [٢]، وقد ذكر الشاطبي أصناف المتبعين للمتشابه مبينا أنهم ليسوا سواء في الغاية والأثر فقال: "إن اتباع المتشابه منها- أي الآيات- شأن أهل الزيغ عن الضلال والحق والميل عن الجادة، وأما الراسخون في العلم فليسوا كذلك، وما ذلك إلا باتباعهم أم الكتاب، وتركهم الاتباع للمتشابه[٣].

قد ذم الله- تعالى المتبعين للمتشابهات، ووصفهم بصفات منها:

١- " في قلوبهم زيغ"؛ مما يدل على سوء النيات، وأنهم أقدموا على بيان هذه المتشابهات عن سوء نيّة وفساد طويّة.

٢- ملازمتهم اتباع المتشابه حتى صار ديدَنَهم ودأبَهم فلم يكن عرضًا أو خطأً، جاء في التحرير

---

(١)- يراجع: التحرير والتنوير، ٣/ ١٦٤.

(٢) -الجامع لأحكام القرآن، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١ هـ)، ٤/ ١٣-١٤، المحقق: هشام سمير البخاري، الناشر: دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م ٤/ ١١.

(٣) - الموافقات في أصول الشريعة للشاطبي؛ إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشاطبي، المتوفى: ٥/ ١٤٥، تحقيق: مشهور أبو عبيدة، ط: ١ في: ١٤١٧هـ، الناشر: دار ابن عفان.

والتنوير: والاتباع في قوله تعالى{فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ} مجاز عن الملازمة والمعاودة، أي يعكفون على الخوض في المتشابه يحصونه، شبهت تلك الملازمة بملازمة التابع متبوعه"(١).

٣- طلبهم بالمتشابهات: الفتنة(٢) والتأويل الفاسد، ولولا هاتان الصفتان ما ذم الله صنيعهم؛ فليس ذم التأويل لذاته بل لفساده، ويفهم ذلك من عطفة على الفتنة لاقتضاء العطف: التشريك في الحكم، وقد ذهب ابن عاشور إلى أكثر من ذلك حيث يرى أن مجرد طلب التأويل من المتشابه مذموم، فقد أورد سؤالا وأجاب عنه، ومفاده: " فإن قيل إن اتباع طلب الفتنة مذموم فكيف ذموا باتباع تأويله؟ قيل طلب التأويل من نفس المتشابه مذموم، إذ لا سبيل إلى تبينه منه، وإنما طلب الحق يجب أن يكون برده إلى المحكم (٣).

(١) - ينظر: ٣/ ١٦١.

(٢) - جاء في تفسير الرازي: " ذكر المفسرون في تفسير هذه الفتنة وجوهًا: أولها: قال الأصم: إنهم متى أوقعوا تلك المتشابهات في الدين صار بعضهم مخالفًا للبعض في الدين، وذلك يفضي إلى التقاتل والهرج والمرج فذاك هو الفتنة وثانيها: أن التمسك بذلك المتشابه يقرر البدعة والباطل في قلبه فيصير مفتونًا بذلك الباطل عاكفًا عليه لا ينقلع عنه بحيلة البتة وثالثها: أن الفتنة في الدين هو الضلال عنه ومعلوم أنه لا فتنة ولا فساد أعظم من الفتنة في الدين والفساد فيه" - مفاتيح الغيب -المؤلف: فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، ٧/ ١٥٢، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢١هـ - الطبعة: الأولى).

(٣) - ينظر: التحرير والتنوير ٣/ ١٦٣.

الفصل الثاني (الجانب التطبيقي)

المبحث الأول: الفهم السقيم للمحكم والمتشابه في الاتجاه الخارجي وبيان فساده.

توطئة: فرقة الخوارج[١] من الفرق الضاربة بجذورها في التاريخ بل إنه بالنظر الدقيق يمكن إرجاع نشأتها كفكر منحرف إلى زمن رسول الله-ﷺ [٢]، كما أنها تميزت بالغلو في الدين كما يرى الدكتور عقل: كان غلو الخوارج في تشددهم في الدين والأحكام والبراء وشدة الموقف من المخالفين وما استلزمه ذلك من التكفير والخروج والقتال[٣]وفي الحديث عن عائشة -رضي الله عنها قالت: إن رسول الله - ﷺ -قرأ هذه الآية: {وَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ

---

(١) - اشتهرت بين كتاب الفرق بهذا الاسم وإن كان لها أسماء وألقاب أخرى أطلقوها على أنفسهم أو أطلقها عليهم مخالفوهم، مثل: الحرورية والمحكمة والشراة والمارقة، وهي الفرقة التي خرجت على عليّ رضي الله عنه ورفضت التحكيم، ولها مبادئ معينة، وقد انقسمت إلى ما يزيد على العشرين فرقة (يراجع: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، المؤلف: علي بن إسماعيل الأشعري أبو الحسن، ١/ ١١٢٧فما بعدها، الناشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط: ٣، تحقيق: هلموت ريتر.

الفرْق بين الفِرق وبيان الفرقة الناجية، المؤلف: عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي ١/ ٥٤ فما بعدها، الناشر: دار الآفاق الجديدة – بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٧، والتفسير والمفسرون ٢/ ٣٠١.

(٢) - عن أبي الزبير، عن جابر- رضي الله- عنه قال: إن النبي ﷺ كان يقسم الغنائم بالجعرانة، فقال رجل: اعدل، فإنك لم تعدل، فقال ﷺ: ويحك، فمن يعدل إذا لم أكن أعدل؟ فقال عمر-رضي الله عنه: دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال ﷺ: دعه فإن هذا مع أصحاب له-أو في أصحاب له - يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية (سنن الحافظ ابن ماجه، باب في ذكر الخوارج، ح: ١٧٢، ١/ ٦٠، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، وقال محققه: في الزوائد: إسناده صحيح.، دار الفكر- للطباعة والنشر والتوزيع)، كما صححه الألباني في صحيح ابن ماجه، ٩/ ٣٨.

(٣) -الخوارج أول الفرق في تاريخ الإسلام-مناهجهم وأصولهم وسماتهم قديما وحديثا وموقف السلف منهم، المؤلف: الدكتور ناصر عبدالكريم العقل، صـــ ١٢، ط: دار أشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض-المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى في ١٤١٩هـ.

مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ }[(١)]؛ فقال ﷺ: إذا رأيتم الذين يجادلون فيه، فهم الذين عنى الله عز وجل، فاحذروهم [(٢)]، وقال الآجري-رحمه الله-لم يختلف العلماء قديمًا وحديثًا أن الخوارج قوم سوء، عصاة لله عز وجل ولرسوله -ﷺ-، وإن صلوا وصاموا، واجتهدوا في العبادة، فليس ذلك بنافع لهم، وإن أظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وليس ذلك بنافع لهم، لأنهم قوم يتأولون القرآن على ما يهوون، ويموهون على المسلمين. وقد حذرنا الله عز وجل منهم، وحذرنا النبي-ﷺ-، وحذرناهم الخلفاء الراشدون بعده، وحذرناهم الصحابة رضي الله عنهم ومن تبعهم بإحسان رحمة الله تعالى عليهم. [(٣)]، كما تعد هذه الفرقة في القديم والحديث من أكثر الفرق تحريفا وتضليلا لاستعمال المحكم والمتشابه في القرآن، وتطويعا له حسب مبادئها التي ضحت من أجلها بكل غالي ونفيس حتى غدت عندهم عقائد دونها الموت والفناء ولو خالفت صحيح، وصريح الكتاب ،والسنة والإجماع. وقد وقف الخوارج من الآيات المحكمات والمتشابهات موقف الناصر لمذهبه الجاعل الآيات خادمة وتابعة لما يريد؛ فما كان من المحكم معارضا لمبادئهم طاروا ليؤولوه تأويلا فاسدا ليخدم تلك المبادئ، وما كان من آيات متشابهات -يخدم في الظاهر، وقبل الرجوع إلى المحكمات ما يدينون به-تغنوا به، بل وقاتلوا ليؤيدوا هذا التشابه غير المراد.

المطلب الأول: من أسس التأويل للقرآن الكريم في الفكر الخارجي:

آمن الخوارج بكل مبادئهم التي من أجلها خرجوا، وحاولوا تطويع الآيات القرآنية لخدمتها، ومن ذلك: - نفي الصفات عن الله- تعالى- بدعوى التوحيد كالمعتزلة، واعتبار القول بالصفات إشراكًا، لما فيه من التعدد على حد زعمهم القرآن كلام الله-تعالى- المنزل على رسوله محمد-ﷺ- وهو مخلوق كباقي المخلوقات.

---

(١) -سورة آل عمران من الآية ٧.

(٢) - أخرجه البخاري في صحيحه في مواضع منها: كتاب التفسير باب {مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ} رقم ٤٥٤٧.

(٣) - الشريعة، المؤلف: الإمام أبو بكر محمد بن الحسين الآجري، باب ذم الخوارج وسوء مذاهبهم، وإباحة قتالهم وثواب من قتلهم أو قتلوه، ١/ ٤١.

*- وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على أي حال، ودون ضوابط من شرع أو عقل أو عرف *- الخلل في منهج الاستدلال وذلك بصرف آيات الوعيد إلى الكفر، واعتبارها محكمة، وعدّ آيات الوعد متشابهة، والرجوع بها إلى المحكم. *- صرف نصوص الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى منازعة الأئمة والخروج عليهم وقتال المخالفين. *- تصدير العقل في فهم الآيات، واعتباره المصدر الأول لفهمها بلا منافس *- الذنوب مكفرات، وأصحابها مخلدون في النار [١].

المطلب الثاني: من مظاهر وآثار المبادئ الخارجية في الفهم السقيم للمحكم والمتشابه.

- التكفير بفعل المعاصي:

التكفير والتضليل من أهم مظاهر وآثار الفهم السقيم للمحكم والمتشابه في الفكر الخارجي، وقد آمنوا بهذا المبدأ إيمانا لا يقبل المناقشة، وراحوا يتلمسون له من الآيات-من وجهة نظرهم-ما يخدمه، وما كان من آيات محكمات في هذا الشأن أولوها تأويلا فاسدا، أو جعلوها من المتشابهات.

وقد كان من آثار هذا المبدأ السقيم:

**- تكفير وتضليل معظم الصحابة-رضي الله عنهم- وعلى رأسهم: عثمان وعلي-رضي الله عنهما-ويرى الدكتور الذهبي- رحمه الله أن الخوارج على اختلاف فرقهم يجتمعون على تكفير عليّ وعثمان والحَكَمين وأصحاب الجمل وكل مَن رضى بتحكيم الحَكَمين [٢].

**- تكفير أهل الذنوب والحكم بخلودهم في النار؛ فالخوارج يرون أن مرتكب الذنوب كبيرة كانت أو صغيرة كافر مخلد في النار، لأنهم لا يعدون الإيمان تاما إلا بالعمل [٣]، وقد أورد الذهبي رحمه الله-

(١) - يراجع لهذه المبادي وغيرها على سبيل المثال: الفرق بين الفرق ٢١١-٢١٢، والعقائد النسفية: صـ١١٧-١١٨، تفسير ابن كثير ١/ ٣٨٦، تفسير الرازي ١٠/ ١٢٤-١٢٥، شرح نهج البلاغة٨/ ١١٢، الخوارج أول الفرق في تاريخ الإسلام، الدكتور ناصر العقل، صـ ٣٢، التفسير والمفسرون للدكتور الذهبي٤/ ٢٧٥.

(٢) - التفسير والمفسرون: ٤/ ٢٧٥.

(٣) - وهي مسألة خلافية بين فرق الخوارج أكثرها تشددا من يزعمون أن مرتكب الذنوب صغيرها وكبيرها كافر، وأقلها تشددا من يرون أن الذنب إذا كان مما لا خلاف حوله فهومن الكبائر، وإن كان مختلفا فيه فأمره مفوض لأهل الاجتهاد (يراجع: الفرق بين الفرق صـ ٩٧).

جملة من الآيات التي زعم الخوارج أنها تخدم ما يذهبون إليه في تكفير أهل الذنوب، وأجاب عنها[١] - تكفير السلطان الجائر ووجوب الخروج عليه[٢]، وهو مبدأ تواصى عليه الخوارج منذ نشأتهم وخروجهم على الخليفة الحيي عثمان بن عفان وعلى الخليفة العظيم علي بن أبي طالب ومرورا بأتباعهم في كل عصر ومصر، وهو يدل على فهم عليل لنصوص القرآن الكريم، وعلى رأسها المحكم والمتشابه.

**- تكفير وتضليل المجتمعات. لم يخل مجتمع من المجتمعات من وجود أهل المعاصي مع التفاوت في القلة والكثرة، والانتشار وعدمه، والمجتمعات لا توصف كلها بالجهالة بما يقع من بعض أفرادها، ولا يجوز-مطلقا-أن يربط بين الحكم على سلوك فرد ما وبين الحكم على المجتمع كله بلفظ الجاهلية، وأول قاعدة من قواعد الحكم على المجتمع بأنه مجتمع إسلامي: قبوله الإسلام دينا بالنص الرسمي، أو بالقول اللساني.، وأبرز ظاهرة تدل على إسلامه وتمنع رميه بالكفر هي إعلان الأذان وشيوع شعائر الإسلام في المجتمع[٣] إلا أن الخوارج اتخذوا تضليل وتكفير المجتمع منهجا لهم حسب أصلهم بالتكفير بالذنوب والمعاصي.

*-الوقوف عند ظواهر الآيات، وعدم المجاوزة إلى الدلالات المناسبة: اتخذ الخوارج من الوقوف على ظواهر الآيات ما يخدم مذهبهم، ولم يكلفوا أنفسهم البحث عن الدلالات المناسبة لمنهج القرآن وعموم خطاباته، مما أدى بهم إلى فساد التأويل، واتباع المتشابه ورد المحكم من الآيات.

** - الغلو في الفهم والتطرف في الاستعمال، وهذا التطرف الفكري عند الخوارج سمة بارزه لا تغيب على من له أدنى معرفة بهذه الفرقة، وقد نتج عن هذا الجنوحِ في الفهم وإنزالهِ على الواقع: ادعاءُ التفرد

---

(١) - راجع: التفسير والمفسرون للذهبي، ٤/ ٢٧٨.

(٢) - يراجع: الفرق بين الفرق، تأليف: عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي، الأسفراييني، المتوفى٤٢٩هـ، ١/ ٢٧، التفسير والمفسرون: ٤/ ٢٧٥.

(٣) - ضلالات الإرهابيين وتفنيدها، تأليف أد- محمد سالم أبو عاصي وآخرون، إشراف وتقديم: أد/ محمد مختار جمعة وزير الأوقاف، صـ ٢٠، ط: ١ في ١٤٤١هـ، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

في امتلاك الحق والتوحد في إصدار الأحكام، وقد حاولوا جاهدين إنزال بعض الآيات على واقعهم هذا إما بصرفها عن ظاهرها المراد، وإما بالتمسك بالظاهر غير المراد الذي ترده ظواهر آيات أخرى تتفق بمجموعها وحمل بعضها على بعض مع مقاصد القرآن وهداياته.

**- الأثرة والمغالاة في حب المال والرياسة. فبالرغم من تظاهر الخوارج في القديم والحديث بالخروج من أجل الله- تعالى والدفاع عن دينه، والإعراض عن الدنيا، إلا أن الواقع يكذب ذلك.

ومن الأدلة على ذلك:

١- اعتراض أول خارج منهم على أمر رسول الله باعتراضه على أمر تقسيم الغنائم(١).

٢- اتهامهم عثمان-رضي الله عنه- بالظلم في القسمة بجعل جلها في أقاربه(٢)، وكذا اتهامهم عليا- رضي الله عنه- في قسمة غنائم موقعة الجمل، وقد وصفهم معاوية-رضي الله عنهما-بقوله: همهم الفتنة، وأموال أهل الذمة، كما وصفهم صاحب نهج البلاغة بقوله: وأصبح همهم: إخافة السبايا، وإشاعة الفساد في الأرض، واكتساب الأموال من غير طريق حلال(٣).

(١) - كما عند البخاري من حديث طويل عن أبي سعيد الْخُدْرِيِّ قَالَ بَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَقْسِمُ ذَاتَ يَوْمٍ قِسْمًا فَقَالَ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ يَا رَسُولَ اللهِ اعْدِلْ قَالَ وَيْلَكَ مَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَعْدِلْ فَقَالَ عُمَرُ ائْذَنْ لِي فَلْأَضْرِبْ عُنُقَهُ قَالَ لَا إِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ يَمْرُقُونَ مِنْ الدِّينِ كَمُرُوقِ السَّهْمِ مِنْ الرَّمِيَّةِ(صحيح البخاري-كتاب الأدب، باب: مَا جَاءَ فِي قَوْلِ الرَّجُلِ وَيْلَكَ، ح: ٦١٦٣.

(٢) - وقد روى الطبري بسنده أن الخوارج علَى عثمان تنادوا في بيته حين مقتله: أدركوا بيت المال لا تسبقوا إليه، وأتوا بيت المال فانتهبوه، يراجع: منهاج السنة لابن تيمية ٢/ ١٨٧.

(٣) - يراجع: تاريخ الأمم والملوك ٤/ ٣٩١-٣٩٣، وآراء الخوارج١/ ٥٢، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١/ ٧٦.

المطلب الثالث: التكفير بارتكاب الذنوب.

دأب الخوارج على البحث عن الآيات التي يوهم ظاهرها تأييد ما يذهبون إليه بفصلهم إياها عن سياقها وما يراد منها مما يتوافق مع مقاصد القرآن، وقد أورد الدكتور الذهبي مجموعة من الآيات التي زعموا أنها تخدمهم مذهبهم في التكفير بالذنوب [١].

ومن هذه الآيات التي تمسكوا بها، لتأييد ما زعموه من التكفير بالذنوب: *- قول الله تعالى: {حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ }[٢].

**- ووجه استدلالهم من الآية: أن الله وصف بالكفر من ترك الحج مع الاستطاعة[٣]، والصحيح أن الكفر وصف لمن جحد الحج أو المراد بالكفر كفر النعمة، وليس الجحود[٤].

*- وقد عدوا قول الله تعالى: { إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ }[٥] الآية المحكمة في هذا الشأن وما عداها متشابها، وحملوا غيرها عليها، كما أنهم رأوا أن من الآيات ما يؤيدهم فيما اعتقدوا، ومن ذلك: قول الله عز وجل { وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ [٦]، ويقرؤون معها: { ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ }[٧] فإذا رأوا الإمام يحكم بغير الحق قالوا: قد كفر ومن كفر عدل بربه، فقد أشرك، فهؤلاء الأئمة مشركون، فيخرجون فيفعلون ما رأيت، لأنهم يتأولون هذه الآية.

*- ووجه استدلالهم منها: أن عليا-رضي الله عنه- بتحكيمه الرجال خرج من ولاية المؤمنين إلى ولاية

---

(١) - يراجع: التفسير والمفسرون، ٤/ ٢٧٤ فما بعدها.

(٢) - سورة البقرة من الآية ٩٧.

(٣) - ينظر: التفسير والمفسرون ٤/ ٢٧٥ فما بعدها.

(٤) - يراجع: جامع البيان ٦/ ٤٧-٥٢.

(٥) - سورة الأنعام من الآية ٥٨.

(٦) - سورة المائدة الآية ٤٤.

(٧) - سورة الأنعام من الآية ١.

الكافرين[١]، وهم يرون أن من حكم بغير ما أنزل الله فقد عدل بربه غيره، ومن فعل ذلك فقد كفر.

**- والجواب الموجز على ما زعموه: أن الآيات التي زعموها مؤيدة لما يذهبون إليه من التكفير لا يمكن تفسيرها بعيدا عن باقي الآيات التي تقيد ما فيها من إطلاق أو تخصص ما بها من عموم، ومنها: قول الله- تعالى: { إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا }[٢]، وقوله-سبحانه: { إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا }[٣]. قال الشاطبي-رحمه الله في معرض رده على استدلال الخوارج بهذه الآية على التكفير: " فلو نظر الخوارج أن الله تعالى-قد حكم الخلق في دينه في قوله تعالى{ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ }[٤]، وقوله{ فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا }[٥] لعلموا أن قوله{ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ } غير مناف لما فعله علي رضي الله عنه-، وأنه من جملة حكم الله؛ فإن تحكيم الرجال يرجع به الحكم لله وحده، فكذلك ما كان مثله مما فعله-علي-رضي الله عنه. [٦]

(١) - يراجع: شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم / دار احياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركاه.

(٢) - سورة النساء الآية ٤٨.

(٣)- الآية ١١٦ من السورة السابقة.

(٤) - سورة المائدة من الآية ٩٥.

(٥) - سورة النساء من الآية ٣٥.

(٦)- الموافقات ٤/ ٢٢٣، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٠/ ٢٥١، ط: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه في ١٩٦١م.

المبحث الثاني

الفهم السقيم للمحكم والمتشابه في الاتجاه الشيعي وطرق دفعه

توطئة: لا يخفى على من يطالع كتب الشيعة على وجه العموم، والتفسير منها على وجه الخصوص غلو هذه الطائفة في فهم الآيات المحكمات والمتشابهات غلوا أخرجها عن معانيها الظاهرة إلى معان ذميمة لا تتوافق مع مقاصد القرآن وهداياته، بل تتناسب مع ما ابتدعوه من معتقدات باطلة ومبادئ نابية بتأويلات فاسدة تنبئ عن زيغ قلوبهم متخذة من التفسير الباطني المبتدع لكتاب الله تعالى منطلقا لتبرير وتمرير مذهبيتهم البغيضة دون اعتبار للقواعد المعتمدة للتأويل الصحيح. رووا عن أمير المؤمنين علي-رضي الله عنه قال: المحكم من القرآن مما تأويله في تنزيله، مثل قوله-تعالى{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ } [١]، والمتشابه في الاتجاه الشيعي: ما اشتبه على جاهله؛ فالمحكم الذي يبدو واضحا عند فرد، لأنه في مستوى فهمه-يكون متشابها عند فرد آخر لأنه أعلى من مستواه [٢] ومن الإنصاف القول بأن الشيعة في تأويلاتهم المنحرفة لآيات المحكم والمتشابه ليسوا على درجة واحدة في تلك الانحرافات وذلك لتفرع المذهب وتشعبه؛ فمنهم من غالى غلوا أخرجه عن دائرة

(١) - وسائل الشيعة ١/ ٣٩٩ شيعي.

(٢) - بحوث في القرآن الحكيم شيعي.

الإسلام[1]، ومنهم من انحرف عن بيان أهل السنة والجماعة خدمة لمذهبه دون أن يخرجه ذلك عن الإسلام[2] ومنهم من اقترب من منهج أهل السنة؛ وإن لم يسلم من أخطاء وإن كانت يسيرة، وفي الفروع، لكن يجب التنبيه إليها[3].

المطلب الأول: أسس التأويل بالمحكم والمتشابه في الاتجاه الرافضي بين التنظير والتطبيق.

المطالع لكتب الشيعة على اختلاف توجهها يعلم أنهم ينفون وجود آيات متشابهات لا يُعلم مدلول حقيقتها من كل الجهات، وإذا وجدت آيات لا تستقل على مدلولها الحقيقي فترد إلى ما يناظرها من الآيات المحكمات. هذا من الجانب التنظيري إلا أن أدنى مطالعة لكتب الرافضة وبخاصة في التفسير يرى خلاف ذلك؛ فهم قد وضعوا مبادئ طوعوا لها الآيات، وكان لهم من الأسس التأويلية ما يكادون

(١) – ومن غلاة الشيعة: السبئية؛ أتباع عبد الله بن سبأ اليهودي، ومن أكثر مبادئهم انحرافا: بالتأويل السقيم للمحكم والمتشابه زعمهم: ألوهية الإمام علي، ورجوع الإمام كرجعة عيسى، وأن المقتول ليس هو وإنما شبه لهم كما شبه لليهود قتل عيسى.

*– الكيسانية؛ أتباع المختار الكيساني، ومن مبادئهم المنحرفة: أن الأئمة لهم رتبة التقديس والعصمة، والقول بالبداء والتناسخ.

*– النصيرية؛ أتباع محمد بن نصير الدميري، ت: ٢٧٠هـ ومن أشهر مبادئهم: تأليه الأئمة، وأن للشريعة ظاهرا وباطنا.

*– الإسماعيلية؛ أتباع: إسماعيل بن جعفر الصادق، وهم ما بين مغال خارج بمبادئه عن الملة وما بين متجاوز لا يحكم بكفره (راجع للمزيد: الفصل لابن حزم الجزء الخامس، تحقيق: عبدالرحمن عميرة، الناشر: مكتب عكاظ بالرياض في ١٤٠٢هـ– ١٩٨٢م، ونشأة الفكر الفلسفي في الإسلام للدكتور علي سامي النشار ج٢، والشيعة بين الاعتدال والغلو للدكتور محمد الأنور ص: ٢٢٨ وما بعدها، وإسلام بلا مذاهب للدكتور مصطفى الشكعة: صـ ٢٨٢-٢٨٣، صـ ٣١١ إلى ٣٢٧.

(٢) – وهم الشيعة الأمامية الاثنا عشرية؛ ومن أشهر مبادئهم التي انحرفوا بها محاولين تأييدها بفهم سقيم للمتشابهات في القرآن: أن الإمامة العظمى منصوص عليها للإمام علي ولذريته، والقول بالتقية، وعصمة الأئمة، وقرب مقامهم من النبوة.

(٣) – وهم الشيعة الزيدية.

يجمعون عليه، ومنها:

*- إثبات الظهر والبطن للقرآن *- رد الأقوال إلا ما كان عن طريق أئمة الشيعة *- المخالفة الصريحة لظاهر القرآن وسياقه *- تضليل الصحابة إلا نفر قليل منهم، ومن افترائهم قولهم:

**- إن مقصود الله بقوله{ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى } [١] أبو بكر وعمر وعثمان [٢] .

**- وإن معنى قوله تعالى: { وَلَكِنَّ اللهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ }[٣]: علي الأئمة. { وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ }[٤] أبو بكر وعمر وعثمان[٥].

**- وقوله تعالى: { عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (١) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ }[٦]: ولاية علي [٧]، وعمدة أسس التفسير عندهم أن للقرآن ظاهرا وباطنا-كما مر، ولا يعني ذلك-عندهم- إلا أن الظاهر معنى قريب غير مراد، وأن الباطن معنى بعيد هو المراد، وهو مفهوم المحكم والمتشابه عندهم، وهذا التأويل الذي لا ضابط له: باب شر لا منتهى له يستطيع أي صاحب فكر عليل أو مذهب كليل أن يحتج بأي نص، على أية فكرة أو عقيدة ما دام الباب مفتوحا على مصراعيه بحجة ظهر القرآن وبطنه، وهذا ما لم يقل به عاقل منصف فضلا عن ناظر في القرآن ومفسر له.

---

(١) - سورة محمد من الآية ٢٥.

(٢) - - الكافي للكليني١/ ٤٢٦.

(٣) - سورة الحجرات: ٧.

(٤) - السورة السابقة.

(٥) - الكافي ١/ ٤٢٦.

(٦) - سورة النبأ/ ١-٢.

(٧) - - الكافي١/ ٤١٨.

المطلب الثاني: من مظاهر وآثار فهم المحكم والمتشابه في الاتجاه الرافضي بين التنظير والتطبيق.

ما من شك في أن لمفهوم المحكم والمتشابه في الفكر الشيعي مظاهر وآثار، ومنها:

*-عصمة الأئمة وقرب مقامهم من مقام النبوة.

وهو أمر مجمع عليه بينهم، قال المجلسي الشيعي: "اعلم أنّ الإماميّة اتّفقوا على عصمة الأئمّة -عليهم السّلام- من الذّنوب-صغيرها وكبيرها؛ فلا يقع منهم ذنب أصلاً لا عمدًا ولا نسيانًا ولا الخطأ في التّأويل ولا للإسهاء من الله سبحانه " [(١)]، ويستدلون على ذلك بآية المباهلة[(٢)] ويؤولونها-لزيغ قلوبهم-تأويلا فاسدا لتكون مؤيدة لما يذهبون إليه من عصمة الأئمة وعلى رأسهم الإمام علي- رضي الله عنه-وهي- قول الله تعالى{ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ }[(٣)].

**- ووجه الاستدلال بها عندهم على عصمة الإمام وقرب مكانه من مكان النبي-صلى الله عليه وسلم-أن المراد بالأنفس في الآية: الإمام عليّ، لأنه وضع نفسه موضع الرسول في ليلة الهجرة؛ فهو في نظرهم مساو للرسول فهو معصوم مثله[(٤)].

**- الجواب-الموجز-عن هذا الفهم السقيم: أن المراد بالنفس عند مفسري أهل السنة: نفس المتباهلين ويدخل فيها دخولا أوليا: نفس النبي-ﷺ -، ونفس علي بن أبي طالب-رضي الله عنهما، ولم أقف إلا على قول واحد نسب إلى الشعبي رحمه الله خص فيه لفظ { أَنْفُسَنَا} بـ علي رضي الله عنه؛

---

(١) - بحار الأنوار: ٢٥/ ٢١١، وانظر: مرآة العقول: ٤/ ٣٥٢.

(٢) - وهو في مسلم من حديث سعد بن أبي وقاص قال: ".. لما نزلت هذه الآية: { فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ } [آل عمران: ٦١] دعا رسول الله -ﷺ- عليًا وفاطمة وحسنًا وحسينًا فقال اللهم هؤلاء أهلي". صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ٢/ ١٨٧١.

(٣) - سورة آل عمران الآية ٦١.

(٤) - راجع: الميزان في تفسير القرآن للمفسر الشيعي محمد حسين الطباطبائي جـ٢ صـ ٢٣٠، والأمالي لأبي أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين القمي، ٣/ ٤٩، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة.

فصـار عدم التخصـيص كالإجماع، كما أنه قد جاء أن المراد بالنفس نفس النبي-ﷺ-، أو هو ومعه- علي-رضي الله عنه[١] أو المعنى: ليدع كل منا نفسه مع أبنائه ونسائه[٢]، والأخير هو الأقرب لعمومه، كما أن الإجماع قائم على أن النبي-أفضل الخلق على الإطلاق وليس مساويا لأحد. [٣]

**- غاية ما تدل عليه الآية- والله أعلم-أن المذكورين في المباهلة- كما في الصـحيح- داخلون في جملة الأبناء والنسـاء والأنفس، لكن لا يعني على الإطلاق الحصـر ومنع الغير من الدخول؛ فهي تدل على الفضـيلة وليسـت الأفضـلية والحصـر، وغاية ما ذهب إليه الروافض وأولوه خدمة لمذهبهم: تخصيص مرفوض، و" لا دلالة فيه على الإمامة ولا على الأفضلية... والمباهلة إنما تحصل بالمقربين إليه، وإلا فلو باهلهم بالأبعدين في النسب وإن كانوا أفضل عند الله لم يحصل المقصود"[٤]

---

(١) - قال البغوي- رحمه الله في تفسير هذه الآية: " قيل: أبناءنا أراد الحسن والحسين، ونساءنا فاطمة. وأنفسنا عنى نفسـه وعليا رضـي الله عنه والعرب تسـمي ابن عم الرجل نفسـه، كما قال الله تعالى: " ولا تلمزوا أنفسـكم "(١١ - الحجرات) يريد إخوانكم وقيل هو على العموم الجماعة أهل الدين(معالم التنزيل، المؤلف: محيي السـنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي [المتوفى ٥١٦ هـ]، ٢/ ٤٨، المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر- عثمان جمعة ضميرية- سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧.

(٢) - جاء في إرشـاد العقل السـليم: أي ليدع كل منا ومنكم نفسـه وأعزة أهله وألصـقهم بقلبه إلى المباهلة ويحملهم عليها وتقديمهم على النفس في إثناء المباهلة التي هي من باب المهالك ومضـان التلف مع أن الرجل يخاطر لهم بنفسـه ويحارب دونهم للإيذان بكمال أمنه عليه الصـلاة و السـلام وتمام ثقته بأمره وقوة يقينه بأنه لن يصـيبهم في ذلك شـائبة مكروه أصلا وهو السر في تقديم جانبه عليه السلام على جانب المخاطبين في كل من المقدم والمؤخر مع رعاية الأصل في الصـيغة فإن غير المتكلم تبع (إرشـاد العقل السـليم إلى مزايا القرآن الكريم، المؤلف: محمد بن محمد العمادي أبو السعود، ٢/ ٤٦، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

(٣) - يراجع: مفاتيح الغيب، المؤلف: فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشـافعي، ٨/ ٧٢، دار النشـر: دار الكتب العلمية -بيروت - ١٤٢١هـ، ط: ١.

(٤) - انظر تفصـيل الرد على الروافض في احتجاجهم بهذا الحديث في: منهاج السـنة: ٤/ ٣٤، والمقدسـي/ رسـالة في الرد على الرافضة ص٢٤٣-٢٤٥.

*- كما استدلوا على عصمة الأئمة بـ:

**- قول الله-تعالى {إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا }[١]

**- ووجه استدلالهم بالآية: أن المراد بالتطهير: العصمة، والمراد بآل البيت:

علي وذريته، ويحاول كل من الطبرسي والطباطبائي قصر أهل البيت على النبي -ﷺ-وعلي وفاطمة والحسن والحسين، وأن يجعل الآية خاصة بهؤلاء الخمسة، وأن الإرادة فيها تحتمل الإرادة المحضة، والإرادة التي يتبعها التطهير وإذهاب الرجس ثم يدعيان أن الاحتمال الثاني هو المراد، وأن الآية تدل على عصمة الأئمة من جميع القبائح[٢].

**- ويعقب الشيخ الذهبي-رحمه الله- قائلا: وبدهي أن هذا الاتجاه في تفسير ما سبق من الآيات إنما دفع قائليه إليه ما يعتقدونه في الإمامة والأئمة[٣].

**- التفسير الصحيح للآية: التطهير المراد في الآية: الابتعاد عن الذنوب والمعاصي، وليس العصمة منها، وأن المراد بآل البيت في الآية: أزواج النبي-ﷺ، ورضي الله عنهن - كما هو الظاهر الذي يؤيده السياق، ولا مانع من دخول الإمام علي وذريته دون استقلالهم بذلك، وفي ذلك اتباع للمتشابهات بتحميل الآيات ما لا تحتمل.

*- الإمامة العظمى منصوص عليها في القرآن والسنة، وهذه الإمامة لا تقف عند الإمام علي-رضي الله عنه-بل تتعداه إلى الأئمة من ذريته، ودليلهم: **- قول الله-تعالى: { إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ }[٤] **- ووجه الاستدلال بالآية عندهم: أنها نزلت في علي- رضي الله عنه- فهو من أعطى الزكاة للسائل في المسجد وهو راكع، وأن المراد بالولاية

(١) - سورة الأحزاب من الآية ٣٣.

(٢) - انظر: الميزان في تفسير القرآن للطباطبائي، جـ١٦- صـ ٣١٠ وما بعدها.

(٣) - الاتجاهات المنحرفة في تفسير القرآن الكريم للشيخ محمد حسين الذهبي، صـ٥٦.

(٤) - سورة المائدة الآية ٥٥.

في الآية: المتصرف في الشئون الدينية والدنيوية[١].

**-والجواب المختصر المفيد: أن نزول الآية في الإمام علي بن أبي طالب ليس محل اتفاق بين العلماء، كما أن الولاية ليست بالمفهوم الذي فهمه الشيعة، وقد قال ابن كثير-رحمه الله- بعد أن أورد جملة من الآيات والأحاديث في هذا المعنى: " هذه الآيات كلها نزلت في عبادة بن الصامت رضي الله عنه، حين تبرأ من حلْف يَهُود، ورضي بولاية الله ورسوله والمؤمنين؛ ولهذا قال تعالى بعد هذا كله: {وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ }[٢] ثم قال-رحمه الله ردا على الرواية الواردة في الإمام علي -رضي الله عنه" رواه ابن مردويه من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعمار بن ياسر وليس يصح منها شيء بالكلية، لضعف أسانيدها وجهالة رجالها[٣]، وقال ابن حجر العسقلاني: " رواه الطبراني في الأوسط في ترجمة محمد بن علي الصائغ، وعند ابن مردويه من حديث عمار بن ياسر قال: وقف بعلي سائل وهو واقف في صلاته... الحديث. وفي إسناده خالد بن يزيد العمر وهو متروك، ورواه الثعلبي من حديث أبي ذر مطولا وإسناده ساقط"[٤]؛ فالروايات واهية، وصرف الآيات إلى ولاية التصرف عجيب.

*- التقية، وهي في مفهومها العام عند الشيعة: التظاهر بمولاة الأعداء لتجنب الأذى خوفا ومحافظة على النفس وغيرها في مواطن الخطر. وهي كما في الموسوعة الشيعية حكم شرعي، وجزء من الإسلام لا يمكن إنكاره، تعلموه من أئمتهم[٥]؛ فهي واجبة، بل جعل القمي في رسالته(الاعتقادات) التقية

(١) - يراجع الميزان في تفسير القرآن للمفسر الشيعي: محمد حسين الطباطبائي، جـ٦، ص ١٢٥، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات-لبنان، الطبعة الخامسة في ١٩٨٢م.

(٢) - الآية ٥٦ من السورة السابقة.

(٣) - تفسير ابن كثير ٣/ ٥٣.

(٤) - الكافي الشافي في تخريج أحاديث الكشاف لابن حجر العسقلاني، هامش الكشاف ١/ ٦٤٩.

(٥) - يراجع: الموسوعة الشيعية لمحمد الصدر.

واجبة من تركها كان بمنزلة من ترك الصلاة[١] وعدها: في الكنى والألقاب: تسعة أعشار الدين، ونفى الإيمان عمن لا تقية عنده[٢].

*- وهم يستدلون بنصوص من القرآن يحملونها على ما ذهبوا إليه حملا، ومنها: قول الله تعالى{لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً }[٣]، كما استدلوا بقول الله تعالى{ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ }[٤].

**-ووجه استدلالهم من الآية: أن الله أباح التظاهر للمسلمين الخائفين على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم أن يتخذوا الكافرين أولياء تقاة أو تقية حتى تزول الأسباب [٥].

**- والجواب الموجز المفيد: أن الشيعة قد استعملوا التقية لتبرير وتمرير ما يذهبون إليه من مبادئ حتى ذهبوا إلى أن كل ما وافق أهل السنة فهو تقية، وما عدا ذلك فهو صحيح وجب العمل به، وقد امتدت التقية إلى القرآن ففسروه على غير المراد وكذبوا على الله ورسوله وعلى الصحابة، وكل ذلك من باب التقية التي هي صنو الكذب، بل عينه.

والتقية عند أهل السنة رخصة في أحوال معينة وليست عقيدة متبعة.

يقول الخازن: التقية لا تكون إلا مع خوف القتل مع سلامة النية، قال تعالى: { إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ

(١) - يراجع: الاعتقادات للقمي باب التقية طبع إيران في ١٢٧٤هـ.

(٢) - الكنى والألقاب للقمي، ١/ ٥٩.

(٣) - سورة آل عمران من الآية ٢٨.

(٤) - سورة النحل الآية ١٠٦.

(٥) - انظر: دائرة المعارف الإسلامية الشيعية؛ حسن الأمين، مج ٣، جـ ١١، ص ٨٦، ط: بيروت في١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م ويراجع: حقائق التأويل للشريف الرضي، صـ ٧٤، ط: النجف في ١٩٣٦م.

مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا}[١]، ويقول الزمخشري: رخص لهم في موالاتهم إذا خافوهم، والمراد بتلك الموالاة مخالفة ومعاشرة ظاهرة والقلب مطمئن بالعداوة والبغضاء وانتظار زوال المانع[٢]، وقال القرطبي: "أجمع أهل العلم على أن من أكره على الكفر حتى خشي على نفسه القتل، أنه لا إثم عليه إن كفر وقلبه مطمئن بالإيمان، ولا تبين منه زوجته ولا يحكم عليه بحكم الكفر؛ هذا قول مالك والكوفيين والشافعي؛ غير محمد بن الحسن... [٣] ثم قال و"أجمع العلماء على أن من أكره على الكفر فاختار القتل أنه أعظم أجرا عند الله ممن اختار الرخصة. واختلفوا فيمن أكره على غير القتل من فعل ما لا يحل له... [٤]، ويقول الرازي: التقية إنما تكون إذا كان الرجل في قوم كفار ويخاف منهم على نفسه وماله فيداريهم باللسان وظاهر الآية يدل على أن التقية إنما تحل مع الكفار الغالبين، إلا أن مذهب الشافعي أن الحالة بين المسلمين إذا شاكلت الحالة بين المسلمين والمشركين حلت التقية محاماة عن النفس. وهي جائزه لحفظ النفس ولحفظ المال خلاف [٥]، وفي الفتح: وأجمع أهل العلم على أن التقية رخصة في حال الضرورة، قال ابن المنذر: أجمعوا على أن من أكره على الكفر حتى خشي على نفسه القتل فكفر وقلبه مطمئن بالإيمان أنه لا يحكم عليه بالكفر.. ولكن من اختار العزيمة في هذا المقام فهو أفضل، قال ابن بطال: وأجمعوا على أن من أكره على الكفر واختار القتل أنه

---

(١) تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل، المؤلف علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، ١/ ٣٦٦، دار الفكر بيروت/ لبنان ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩ م.

(٢) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، ١/ ٣٨٠، دار النشر: دار إحياء التراث العربي-بيروت، تحقيق: عبد الرزاق المهدي.

(٣) - الجامع لأحكام القرآن، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١ هـ)، ١٠/ ١٨٢، المحقق: هشام سمير البخاري، الناشر: دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م.

(٤) - المرجع السابق ١٠/ ١٨٨.

(٥) - ينظر: مفاتيح الغيب ٨/ ١٢.

أعظم أجراً عند الله[١].

المطلب الثالث: نموذج حاكم من انحرافات الشيعة بالفهم السقيم للمحكم والمتشابه والجواب عنه:

فرية ظهر وبطن القرآن طريق الفساد.

وهو لون من الاستنباط الفاسد الذي لا يستند إلى دليل من نص أو لغة أو عقل، وغايته خدمة المذهبية فحسب، وقد اتخذ الشيعة فرية ظهر وبطن القرآن تكأة لتبرير وتمرير ما يصبون إليه من أسس وضعوها لمذهبهم؛ فما كان من آيات ظاهرها يخدمهم تمسكوا به وإن كان غير مراد، وما كان ظاهره مرادا إلا أنه لا يخدمهم أولوه بباطنٍ غير مراد، وقد رووا بإسنادهم عن عبدالله الحسين رضي الله عنهما-قوله: " وإياكم والإصرار على شيء مما حرم الله في ظهر القرآن وبطنه[٢].

ولقد حمل صاحب التفسير والمفسرون على فكرة ظهر القرآن وبطنه، والقائلين بها، وعدها من الاستخفاف بالدين، وأن أسبابها: الجهل المبين والهوى المكين؛ فقال:..؛ فغالب ما في كتب الأمامية الاثنا عشرية في تأويل الآيات وتنزيلها، وفي ظهر القرآن وبطنه، استخفاف بالقرآن والكريم، ولعب بآيات الذكر الحكيم...، وإذا كان لهم في تأويل وتنزيلاتها أغلاط كثيرة، فليس من المعقول أن تكون كلها صادرة عن جهل منهم، بل المعقول أن بعضها قد صدر عمداً عن هوى ملتزم[٣] وقد خلص الدكتور الذهبي إلى ضوابط وقواعد أئمتهم التفسيرية، وذكر منها أن " القرآن له ظهر وبطن، بل كل فقرة من كتاب الله لها سبعة وسبعون بطناً، وجملة باطن الكتاب في الدعوة إلى الإمامة والولاية، وجملة ظاهره في الدعوة إلى التوحيد والنبوة والرسالة، وكل ما ورد من الآيات المشتملة على المدح والإكرام ففي أئمتهم، وكل ما ورد من الآيات المشتملة على التهديد والوعيد والتوبيخ والتقريع ففي

(١) - ينظر: فتح الباري: ١٢/ ٣١٤، ٣١٧..

(٢) - تفسير كنز الدقائق، تأليف: محمد المشهدي ابن محمد رضا بن إسماعيل بن جمال الدين القمي، ٢/ ٢٣٢، مؤسسه النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم.

(٣) - التفسير والمفسرون١/ ١٧٥.

مخالفيهم وأعدائهم نزلت"[١] .

*- ومما ذهبوا فيه إلى الصرف عن الظاهر المراد إلى الباطن غير المراد خدمة لمبادئهم:

**- ما رواه الطبرسي في الاحتجاج عن عليّ عليه السلام أنه قال في حديث له طويل: إن قوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ}[٢]، وقوله: { وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ }[٣]، وقوله: {مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا }[٤].. فإنما أراد بذلك استيلاء أمنائه بالقدرة التي ركبها فيهم على جميع خلقه، وأن فعلهم فعله... [٥]

*- وما رواه العياشي في تفسيره عن أبى بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: { وَقَالَ اللهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ }[٦] يعنى بذلك: لا تتخذوا إمامين إنما هو إمام واحد[٧].

*- وما جاء في تفسير القُمِّي في قوله تعالى: { مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ [٨]، قال: مَن لم يقر بولاية عليّ عليه السلام بطل عمله مثل الرماد الذى تجئ الريح

---

(١) - التفسير والمفسرون١/ ١٧٥.

(٢) - سورة الزخرف من الآية ٨٤.

(٣) - سورة الحديد من الآية ٤.

(٤) - سورة المجادلة من الآية ٧.

(٥) - الاحتجاج للطبرسي الشيعي ١/ ٤٢٦، تعليقات وملاحظات محمد باقر الخرسان، طبع في مطابع النعمان النجف الأشرف حسن الشيخ إبراهيم الكتبى.

(٦) - سورة النحل من الآية ٥١.

(٧) - تفسير محمد بن مسعود العياشي الشيعي، ٤/ ١٦، تحقيق وتعليق، السيد هاشم الرسولي المحلاتي تصدى لطبعه ونشره، السيد محمود الكتابچي واولاده صاحب المكتبة العلمية، الإسلامية تهران سوق الشيرازي.

(٨) - سورة إبراهيم من الآية ١٨.

فتحمله[1].

*-الجواب الموجز المفيد: قد يكون لشدة فساد تلك التأويلات لا تحتاج إلى رد لأنها تحمل بين جنباتها دلائل فسادها، إلا أنني سأوجز بعض دلائل الفساد لمزيد الإيضاح:

**- أن عقيدة الشيعة في الإيمان بظاهر وباطن القرآن إنما جاءت لإضفاء القدسية على معتقداتهم، وازدراء بل وتكفير مخالفيهم، وأن أكثر آيات الفضل والإنعام والمدح والإكرام، بل كلها فيهم وفي أوليائهم نزلت، والثاني: الطعن والتوبيخ والتشنيع والتهديد بل جملتها في مخالفيهم من الصحابة ومن بعدهم...، وإنَّ الله عز وجل جعل جملة بطن القرآن في دعوة الإمامة والولاية، كما جعل ظهره في دعوة التوحيد والنبوة والرسالة[2]، وهو كلام لا دليل عليه من شرع أو لغة أو عقل اللهم إلا التعصب البغيض واللهث وراء المتشابه من الآيات لتأييد أقوالهم الشاذة ابتغاء الفتنة في دين الله. وحاصل هذا الاتجاه الباطني في تأويل نصوص الشريعة هو الانحلال عن الدين[3].

(١) - تفسير القمي؛ علي بن إبراهيم الشيعي، ٢/ ٧٥، منشورات مكتبة الهدى، صححه وعلق عليه، السيد طيب الموسوي الجزائري، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر قم - ايران.

(٢) يراجع: مرآة الأنوار ص٤-١٩.

(٣) - ينظر: فتح الباري، ابن حجر، ١/ ٢١٦.

المبحث الثالث

الفهم السقيم للمحكم والمتشابه في الاتجاه الاعتزالي وبيان رده

توطئة: بنى المعتزلة عقيدتهم على أصول خمسة؛ وهي العدل، والتوحيد، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذه الأصول كما يقول الذهبي-رحمه الله- ما أجمع عليه المعتزلة، ولا يعتبر معتزليًا من لا يعتقدها[1] وراحوا- كعادة المذاهب يتلمسون لتأييدها ما يدعمها من النصوص القرآنية حتى تلاقي قبولا ومصداقية بين المسلمين، والمتابع لهذه الأصول يرى أنها تأسست على العقل المجرد؛ فما يوافق منهجهم من النصوص وإن كان في ظاهره غير مراد عدوه محكما، وما خالفه عدوه متشابها وأولوه لما يوافقه؛ وإن كان محكما غاية الإحكام، وركبوا لتأييد ذلك كل خشن، واستنفروا كل العلوم لتلائم أصول مذهبهم، وما يتفرع عنها، وإحقاقا للحق فقد انطلق المعتزلة في تأويلهم للمتشابه من مدخل تنزيه القرآن عن المطاعن التي تسربت إليه من غير المسلمين ومن المنتمين إلى الإسلام مع انحرافهم التام عنه كالمجسمة ونحوهم إلا أنهم لفرط حرصهم على الدفاع والتنزيه قد وقعوا في كثير من الشبهات وعلى رأسها التعطيل.

المطلب الأول: من أسس التأويل القرآني في الفكر الاعتزالي:

تفرع عن أصول المذهب الاعتزالي فروع خالفوا فيها أهل السنة والجماعة، وطوعوا لها من الآيات ما يؤيدها- من وجهة نظرهم-؛ فصارت هذه الفروع مع أصولها أسسا لتأويلهم للقرآن، يقول القاضي عبد الجبار في توضيحه للفرق بين المحكم والمتشابه وبناء التأويل على ذلك؛ " فالمحكم ما أحكم المراد بظاهره والمتشابه ما لم يحكم المراد بظاهره بل يحتاج في ذلك إلى قرينة والقرينة، إما عقلية وإما سمعية، والسمعية إما أن تكون في هذه الآية، إما أولها أو آخرها، أو في آية أخر: من هذه السورة أو من سورة أخرى، أو في سنة رسول الله-صلى الله عليه وسلم-؛ من قول أو فعل، أو في إجماع

(١) - راجع: الاتجاهات المنحرفة في التفسير دوافعها ودفعها، محمد حسين الذهبي، ١٥: ٢٠، ط: ١ في ١٩٧٦م، الناشر: دار الاعتصام القاهرة.

من الأمة، فهذه حال القرينة التي نعرف بها المراد)[١] ويبدو من خلال هذا التعريف: اعتمادهم الكلي في فهم المتشابه على المجاز.

*- ومن أسس التأويل عند المعتزلة بناء على مفهوم المحكم والمتشابه عندهم: نفي الصفات عن الله- تعالى- واعتبارها عين ذاته، ويدخل هذا عندهم في باب التوحيد؛ فقد غالت المعتزلة-في التنزيه- في مقابلة المجسمة-لدرجة التعطيل، ونفت أن يكون الله متصفا بصفات زائدة على ذاته من قدرة وعلم وسمع وغيرها، وقالت: هو قادر بذاته عالم بذاته...، ويروي الشهرستاني عن المعتزلة قولهم: لو قامت الحوادث بذات الباري تعالى لاتصف بها بعد أن لم يتصف، ولو اتصف لتغير، والتغير دليل الحدوث؛ إذ لا بد من مغيره[٢]، وعلى هذا الأصل عندهم قام المعتزلة بتأويل صفات الله الواردة في القرآن باعتبارها من المتشابه. وقد عدوا قول الله تعالى {قُلِ اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ}[٣] من المحكمات في الباب واستدلوا بها على معتقدهم في نفي الصفات.

وقد عرض صاحب اللباب لشبهتهم في الآية ورد عليها بإيجاز عقلي فقال: تمسَّك المعتزلة بهذه الآية في أنَّه تعالى عالم لذاته لا بالعلم وقادر لذاته لا بالقدرة، وقالوا: لأنه لو حصل لله تعالى علم، وقدرة وحياة لكانت هذه الصفات إمَّا أن تحصل يخلق الله تعالى أو لا تحصل بخلق الله والأول باطل، وإلا لزم التسلسل، والثاني باطلٌ؛ لأنَّ قول الله تعالى: {خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ}[٤] يتناول الذات، والصفات حكمنا بدخول التخصيص في ذات الله تعالى؛ فوجب أن يبقى على عمومه في سائر الأشياء، والقرآن

(١) - القاضي عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة ص ٦٠٠ -٦٠١.

(٢) - ينظر: الملل والنحل للشهرستاني ١/ ٥.

(٣) - سورة الرعد من الآية ١٦.

(٤) - سورة الزمر من الآية ٦٢.

ليس هو الله؛ فوجب أن يكون مخلوقًا لدخوله في هذا العموم" [١].

**- مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن ولا كافر، بل هو في منزلة بين المنزلتين[٢]، وهو مخلد في النار. لأن الفاسق يستحق العقاب على طريق الدوام بحيث لا ينفعه ثواب إيمانه بالله ورسوله بعد ارتكابه الكبيرة إلا إذا تاب[٣].

ولقد رأى المعتزلة أن أهل السنة قد تساهلوا في حكم أهل الذنوب، واعتبارهم مؤمنين وأن الخوارج قد أفرطوا في الحكم باعتبارهم كفار؛ فاختاروا القول بالمنزلة بين المنزلتين (الإيمان والكفر) وهي منزلة الفسق، وحاولوا بكل ما أوتوا: تأويل الآيات التي تقسم الناس إلى مؤمن وكافر، وقد اعتمد المعتزلة في هذه المسألة على آيات ظنوها تخدم مذهبهم لظاهرها وتأويلها مبتورة من سياقها، وردوا آيات مؤولين أو محرفين لظنهم معارضتها لما يذهبون إليه، كقوله-تعالى{ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ }[٤].

**- وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وهو مبدأ لا خلاف فيه مع أهل السنة إلا في ضوابط تفعيله؛ فالمعتزلة يوجبونه على أي حال ودون النظر إلى ما يترتب على تفعيله من عواقب في بعض الأحايين، وأهل السنة يجعلون له ضوابط من حيث الوجوب وعدمه، وقد ترتب على وجوبه على أي حال عند المعتزلة: مخالفات جسيمة منها: وجوب الخروج على السلطان الجائر، وحمل السلاح على المخالفين، وأهل السنة لا يقرونهم على ذلك لما يترتب علي ذلك من المفاسد وسفك الدماء

---

(١) - اللباب في علوم الكتاب، المؤلف: أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، ١١٢٨٦، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤١٩ هـ -١٩٩٨ م، الطبعة: الأولى، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض.

(٢) - وهو حكم لم يسبق المعتزلة إليه، وقد جاء نتيجة للصراع القائم وقتئذ في بيان حكم مرتكب الكبيرة من كفر أو فسوق أو نفاق راجع: تفسير: تأويلات أهل السنة- لأبي منصور الماتريدي ١/ ١٤١، والفرق بين الفرق، ١/ ٦٣.

(٣) - يراجع: شرح الأصول الخمسة ص ٦٦٦: ٦٤٩.

(٤) - سورة النساء الآية ١٤.

وتفريق الأمة، وعدم صحة الأدلة على ما ذهبوا إليه[١].

**-أوجبوا على الله- تعالى- إثابة الطائع، ومعاقبة العاصي. وقد جاء هذا بناء على أصلهم: العدل، وقد استند المعتزلة إلى أدلة سمعية وأخرى عقلية رأوا أنها تساير ما ذهبوا إليه وعدوها محكمة، ومنها في وجوب الوعد: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } [٢]، ومنها في وجوب إنفاذ الوعيد: { إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ}[٣] .

ووجه استدلالهم: أن العاصي لا يجوز أن يدخل الجنة لأنه غير مستحق، وإثابة غير المستحق قبيحة، والله-تعالى لا يفعل القبيح[٤]، وإنما جاءت شبهة المعتزلة في آيات الوعيد لأنهم جعلوها في أهل المعاصي على العموم ولم يفرقوا بين معصية الكفر وغيرها من المعاصي، وقد جاء رد الباقلاني عليهم وعلى إخوانهم من الخوارج بعد ذكره لمجموعة من الآيات الدالة على تعذيب الكفرة وبيانه بما يصرفها عن العصاة من الموحدين بقوله: "أنتم وإخوانكم من الخوارج دأبكم أبداً أن تجعلوا آيات العذاب في أهل الإيمان والتوحيد، وهى لأهل الكفر والضلال دون المؤمنين، وهذه الآيات كلها في أهل الكفر والذى يدل على صحة هذا ما قدمنا من الأخبار الصحيحة. [٥]

ولو جمع المعتزلة الآيات المتناولة لهذا الشأن بعضها إلى بعض، وحملوا المتشابه منها على المحكم، وأمعنوا النظر في سياق كل آية مع استحضار هدايات القرآن ومقاصده لما ذهبوا إلى ما ذهبوا إليه!!!

---

(١) - للوقوف على هذا المبدأ عند المعتزلة وأدلتهم والرد عليها يراجع على سبيل المثال: شرح الأصول الخمسة صـ ١١٣ فما بعدها، تفسير الكشاف ١/ ٤٥٢عند تفسيره للآية ١٠٤ من سورة آل عمران.

(٢) -سورة يونس ٢٦.

(٣) -سورة الزخرف ٧٤.

(٤) - شرح الأصول الخمسة ٦٦٦.

(٥) - الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به للقاضي أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني، صـ ١٤٧، تحقيق: عماد الدين حيدر، ط: ١، في ١٩٨٦م، عالم الكتب- بيروت.

**- رؤية الله مستحيلة في الدنيا والآخرة.

أفرط المعتزلة ومن سلك طريقهم في نفي التشبيه حتى وقعوا في التعطيل؛ فنفوا جواز وإمكانية رؤية الله-تعالى في الدنيا والآخرة -لما تؤدي إليه على حد زعمهم- من تجسيم وتشبيه لاستلزامها محلا تقوم به [١]، وقد جعلوا عمدتهم فيما ذهبوا إليه قول الله تعالى{ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ }[٢]، وقوله تعالى: {قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي } [٣]، وجعلوا هاتين الآيتين محكمتين في الباب، وأولوا ما يخالفهما من آيات وعدوها من المتشابهات' مع أنها من أحكم المحكمات؛ كقوله تعالى: { وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ }[٤]، وقوله تعالى{ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ }[٥]، كما ردوا أو أوّلوا الأحاديث الصحيحة والصريحة في ثبوت رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة[٦] كما ردوا الإجماع الحاصل في ذلك من غير المخالفين لعدم اعتدادهم به[٧].

---

(١) - لبيان تعليلات المعتزلة وأدلتهم يراجع: المختصر في أصول الدين من مجموعة العدل والتوحيد ١/ ٢١٣، وشرح الأصول الخمسة صـ ٢١٣، وللرد يراجع: مقالات الإسلاميين ١/ ٢٣٨ فما بعدها.

(٢) - سورة الأنعام من الآية ١٠٣.

(٣) -سورة الأعراف من الآية ١٤٣.

(٤) - سورة القيامة الآية ٢٣.

(٥) - سورة المطففين الآية ١٥.

(٦) - مثل ما رواه مسلم عن صهيب رضي الله عنه عن النبي-صلى الله عليه وسلم- قال إنكم سترون ربكم.... " ح: ١٨١.

(٧) - وعن حكاية الإجماع قال ابن خزيمة: أهل قبلتنا من الصحابة ومن بعدهم إلى من شاهدنا من العلماء من أهل عصرنا لم يختلفوا ولم يشكوا ولم يرتابوا: أن جميع المؤمنين يرون خالقهم يوم القيامة عيانا(كتاب التوحيد ٢/ ٥٤٨ باختصار يسير)، ويقول الأشعري-رحمه الله: وقد روي عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم- أن الله تعالى تراه العيون في الآخرة، وما روي عن أحد منهم أن الله تعالى لا تراه العيون في الآخرة فلما كانوا على هذا مجتمعين وبه قائلين... ثبتت في الآخرة إجماعا (الإبانة عن أصول الديانة، المؤلف: علي بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعري أبو الحسن، ١/ ٤٨، الناشر: دار الأنصار- القاهرة، الطبعة الأولى في: ١٣٩٧م، تحقيق: د. فوقية حسين.

المطلب الثاني: نموذج حاكم من الفهم السقيم للمحكم والمتشابه في الفكر الاعتزالي.

الهداية والضلال من خَلْق الإنسان.

وهو فرع عن أصل العدل عند المعتزلة، المقتضي أن الأفعال مخلوقة للعباد خيرها وشرها.، وقد بتروا بعض الآيات من سياقها المقالي والمقامي وعدوها محكمات، وأولوا أو حرفوا ما يخالف ذلك من الآيات وعدوها متشابهات. يقول القاضي عبد الجبار في قضية خلق الأفعال: "... أفعال العباد غير مخلوقة فيهم وأنهم المحدثون لها" بل يجعل ذلك محل إجماع لجميع المعتزلة(أهل العدل) على حد تعبيره؛ فيقول" اتفق أهل العدل على أن أفعال العباد من تصرفهم وقيامهم وقعودهم حادثة من جهتهم، وأن الله-عز وجل-أقدرهم على ذلك، ولا فاعل لها ولا محدث سواهم"[١]. ومن الآيات المحكمات التي عدوها- لزيغ قلوبهم- من المتشابهات، وأولوها خدمة لأصولهم: قول الله تعالى {مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ }[٢]، قال القاضي عبدالجبار: "من يهد الله إلى الجنة والثواب فهو المهتدي في الدنيا، ومن يضلل عن الثواب إلى العقاب، فأولئك هم الخاسرون في الدنيا"[٣] والذي دفعه إلى هذا التفسير البعيد غير المراد: انتصاره لمذهبه.

ومن الآيات التي عدوها -خدمة لمذهبهم- محكمات:

**- الآية الأولى قول الله-تعالى: { مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ }[٤] .

**- ووجه الاستدلال كما يرونه: أن التفاوت المنفي إما أن يكون من جهة الخلقة وهو ما لا يخفي في الخلق، وإما أن يكون من جهة الحكمة وهو المراد وإذا ثبت هذا لم يصح في أفعال العباد أن تكون من جهة الله لاشتمالها على التفاوت، وقد عرض الرازي لهذه الشبهة وأجاب عنها بقوله: "بل نحن نحمله على أنه لا تفوت فيه بالنسبة إليه من حيث إن الكل يصح منه بحسب القدرة والإرادة والداعية وإنه لا

(١) - شرح الأصول الخمسة.

(٢) - سورة الأعراف الآية ١٧٨.

(٣) - تنزيه القرآن عن المطاعن.

(٤) - سورة الملك الآية ٤.

يقبح منه شيء أصلاً فلم كان حمل الآية على التفاوت من الوجه الذي ذكرتم أولى من حملها على نفي التفاوت من الوجه الذي ذكرناه[١].

**- والآية الثانية: قوله تعالى { وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا [٢].

**- ووجه الاستدلال من جهة المعتزلة كما يقول القاضي عبد الجبار:....؛ فقد نفى الله تعالى أن يكون في خلقه باطل، فلولا أن هذه القبائح وغيرها من التصرفات من جهتنا ومتعلقة بنا وإلا كان يجب أن تكون الأباطيل كلها من قبله فيكون مبطلا كاذبا-تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا"[٣]، وقد عرض الأشعري رحمه الله لهذه الشبهة بهذه الآية وأجاب عنها فقال: والجواب عن ذلك: أن الله عز و جل أراد بذلك المشركين الذين قالوا: لا حشر ولا نشور ولا إعادة فكأنه قال تعالى: ما خلقت ذلك وأنا لا أثيب من أطاعني ولا أعاقب من عصاني كما ظن الكافرون أنه لا حشر ولا نشر ولا ثواب ولا عقاب [٤].

**- ومن الآيات المحكمات في هذا الشأن والتي تبين بجلاء أن أفعال العباد مخلوقة لله وليست لهم: قوله تعالى{قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ (٩٥) وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ }[٥]؛ فلو كانت عبادتهم للأصنام من أعمالهم كان ذلك مخلوقا لله تعالى[٦] قال ابن كثير-رحمه الله- عند تفسيره لهذه الآية: يحتمل أن تكون "ما" مصدرية، فيكون تقدير الكلام: والله خلقكم وعملكم. ويحتمل أن تكون بمعنى" الذي" تقديره: والله خلقكم والذي تعملونه. وكلا القولين متلازم، والأول أظهر[٧]، وقد ذكر صاحب كتاب

---

(١) - مفاتيح الغيب، المؤلف: الإمام العالم العلامة والحبر البحر الفهامة فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، ٣٠/ ٥٠، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م الطبعة: الأولى.

(٢) - سورة ص من الآية ٢٧.

(٣) - ينظر: كتاب مرهم العلل المعضلة في الرد على أئمة المعتزلة المؤلف: عبد الله بن أسعد بن علي اليافعي، ٧١-١٠٧ الناشر: دار الجيل - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢.

(٤)- الإبانة عن أصول الديانة، ١/ ١٨٩.

(٥) - سورة الصافات الآيتان: ٩٥- ٩٦.

(٦) - الإبانة للأشعري، ١/ ٢٢٥.

(٧) - تفسير ابن كثير ٧/ ٢٦.

الرد على أئمة المعتزلة: أن نصوص الكتاب والسنة ناطقة مع اجماع الأمة قبل ظهور البدعة أن أفعال العباد واقعة بقدرة الله تعالى وإرادته، وذكر في أكثر من ثلاثين صحيفة نصوصا كثيرة محكمة من القرآن منها: قوله تعالى {اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ[١]، وقوله سبحانه { وَاللهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ }[٢]، كما استدل بنصوص كثيرة من السنة، أكتفي بواحد منها لضيق المقام، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله وهو الصادق المصدوق إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات يكتب رزقه وعلمه وأجله وشقي أو سعيد فو الذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها"[٣]، ومما نقل عن الإمام أحمد أنه قال إذا سأل إنسان عن أفعال العباد أهي من الله عز و جل دون العباد أم من العباد دون الله عز و جل أم من الله عز و جل ومن العباد فالجواب عن ذلك أنها على غير ذلك لأن أفعال العباد لو كانت من الله عز و جل دون العباد لكان العباد لا ثواب لهم ولا عقاب عليهم ولو كانت من العباد دون الله عز و جل لكان العباد يعملون عملا بغير علم الله ومشيئته وإرادته ولو كانت من الله عز و جل ومن العباد على معنى واحد تشابهت العبودية بالربوبية ولا يجوز أن يقال بواحد من هذه الأقاويل بل يقال أفعال العباد هي من الله تعالى تقديرا وخلقا ومن العباد عملا واكتسابا [٤].

---

(١)- سورة الرعد من الآية ١٦، وسورة الزمر من الآية ٦٢.

(٢) -سورة الصافات الآية ٩٦.

(٣) - أخرجه البخاري في: كتاب بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة، ح: ٣٢٠٨، ومسلم في كتاب القدر، باب: كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، ح: ٢٦٤٣.

(٤) - كتاب مرهم العلل المعضلة في الرد على أئمة المعتزلة، المؤلف: عبد الله بن أسعد بن علي اليافعي، ١/ ٤٦، الناشر: دار الجيل - بيروت، ط: ١في: ١٩٩٢م.

المبحث الربع

الفهم الحداثي الكليل للمحكم والمتشابه في القرآن، وكيفية دحضه

توطئة: أصبح من غير الإنصاف المعرفي عدم الاعتراف بالحداثة كمذهب فكري له وجود وأتباع على الساحة، كما أنه ليس من الإنصاف عدم الوقوف على حقيقته ومبادئه وأهدافه وغاياته ومدى ملائمته للفكر الإسلامي؛ فمن التعريفات الشاملة للحداثة ما جاء في الموسوعة الميسرة من أن الحداثة مذهب فكري أدبي علماني، بُني على أفكار وعقائد غربية خالصة مثل الماركسية والوجودية والفرويدية والداروينية، وأفاد من المذاهب الفلسفية والأدبية التي سبقته مثل السريالية والرمزية...، وغيرها[١].

ومن التعريفات المختصرة للحداثة: ما عرفها به د. مصطفى حلمي بقوله: " نقد المقدس وهدمه"، وعرفها د. إبراهيم الخولي بأنها: ضرب المقدس وطعن التراث[٢] وهذا المذهب قد سرى في كثير من البلاد الإسلامية، وآمن به بل دعا إليه بعض المفكرين، بل عده البعض سفينة النجاة وحصن الأمان للفكر على وجه العموم" وسبب وقوع الحداثيين المسلمين في خطأ ألسنة النصوص المقدسة هو جمعهم بين الانبهار بالعقل الغربي ومنجزاته، وبين احتقار العقل العربي والتنكر لمنجزاته والتقليل الكامل من شأنها"[٣] والناس أمام أمثال هذه التيارات الوافدة بين مفتون بها ومصدق بكل معطياتها بل ومعتقد أنها ترياق الفكر وسويداء المعرفة، وبين رافض لها رفضا تاما تحت ادعاء المحافظة على الهوية الإسلامية، وبين معتدل يأخذ منها ما يتلاءم مع مقاصد الدين وكلياته؛ فيقف منها موقف الناقد

---

(١) - الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة. (الندوة العالمية للشباب السلمي، إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني. ط٤، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٠ هـ (٢/ ١٦٣).

(٢) - سقطة الحداثة والخصوصية الغربية. مجلة البيان، تصدر عن المنتدى الإسلامي، العدد: ١٢٠، ص: ٤، مقال للكاتب: وائل عبد الغني.

(٣) - المرايا المقعرة نحو نظرية نقدية عربية، تأليف: حمودة، عبد العزيز.، صـ ٥٠-٥١، ط: عالم المعرفة: سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت، ٢٧٢.

البصير الذي ينشد المعرفة بضوابط معتبرة من الدين والعقل واللغة.

المطلب الأول: من أسس التأويل في الفكر الحداثي:

لم يقف التأويل في الفكر الحداثي عند حد بيان النصوص البشرية وخضوعها للنقد، بل تعداه إلى النصوص المقدسة ومنها القرآن الكريم، وقد اتخذوا لهذا التأويل أسسا ومنطلقات دون التفريق بين ما هو مقدس وما هو غير مقدس، ومن أهم هذه الأسس:

*- نزع القداسة عن النص الإلهي، وقطع الصلة بينه وبين قائله، واعتبار أن اللغة هي الموحية بالمعنى حسب فهم القارئ، وهو ما أطلقوا عليه: موت المؤلف[١] يقول أركون: إن القرآن هو عبارة عن مجموعة من الدلالات الاحتمالية المقترحة على كل البشر[٢].

*- قبول النص لتأويلات وقراءات لا متناهية حسب قُرّائه، ودون استقرار على معنى واحد [٣].

*- خضوع النصوص المقدسة ومنها القرآن إلى التحليل الألسني بصورة لا يستنفذها أحد[٤].

وأمام هذه الأسس التأويلية الحداثية وغيرها رأى الحداثيون أن القرآن كله متشابه وليس فيه من الإحكام شيء، وراحوا أمام هذه الدعاوى الباطلة ينسجون حبائلهم الشيطانية متخذين من قضية المحكم والمتشابه في القرآن ثغورا ينفثون من خلالها سمومهم.

المطلب الثاني: فهم الحداثيين السقيم للمحكم والمتشابه في القرآن الكريم.

اتخذ الحداثيون من أسسهم التأويلية السابقة وغيرها منطلقات لفهم سقيم للمحكم والمتشابه في القرآن الكريم، وجعلوا من الآيات والواقع متكآت حسب قراءتهم لها، كما أنهم نظروا إلى النص القرآني أنه متشابه، حتى وإن كانت دلالاته قطعية، يقول عبدالمجيد الشرفي: كل حكم من الأحكام

---

(١) - راجع: القراءة الحداثية للنص الشرعي التاريخية أنموذجا دراسة استقرائية تحليلية، تأليف: علي صالح شعان، صـ ١٢٩.

(٢) - تاريخية الفكر العري الإسلامي، محمد أركون، صـ ١٤٥، مركز الإنماء القومي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط: ٣، في: ١٩٩٨م.

(٣) - راجع: الخطيئة والتكفير، صـ ٧٦ وما بعدها.

(٤) - راجع نقد النص، صـ ٨٧، وأين هو الفكر الإسلامي المعاصر، صـ ٥٥ فما بعدها.

نستطيع بواسطة التحليل أن نتبين أن هذه الدلالة لا يمكن أن تكون قطعية بل هي دائما نسبية[١]. وخلص بعضهم إلى أن المتشابه آيات القرآن، والمحكم آيات الأحكام منه، وهي قليلة، ومع ذلك يرى أصحاب هذا الاتجاه أن كثيرا منها متشابه [٢]، وهكذا جاءت نظرة الحداثيين للقرآن المتشابه-عندهم- باعتباره نصا مجزأً غير مترابط لا من جهة المصدر ولا من جهة الموضوعات[٣] وأن الدلالات اللفظية والمعنوية لآيات القرآن قائمة على الاحتمالية ولا سبيل فيها إلى القطعيات[٤] وقد عدّ الحداثيون قضية المحكم والمتشابه: (معضلة النص) على حد تعبيرهم، وراحوا يعللون ذلك بـ:

١- أن البناء النصي للقرآن يقوم على المحكم والمتشابه أو على المتشابه فحسب بشهادة القرآن ذاته.

٢- أن النص القرآني لم يحدد في بنائه أيّ آياته محكم وأيها متشابه مما أربك المسألة أن ترك هذا التحديد قد عرّض القرآن ذاته لعملية (بنيوية)من الاختراق والتجاوز لا سبيل إلى إيقافها.

٣- غدت إشكالية المحكم والمتشابه متجسدة في المستويين الأول: النظري المجرد؛ حتى غدا التعريف النظري لإشكالية المحكم والمتشابه غير محكم، والثاني من خلال الاختراق عبر الدلالات التي خلفها النص من خلال قارئه في ضوء الاحتياجات الموضوعية والذاتية.

٤- ترك الحلول والإجابات عن التشابه والإحكام إلى الفرقاء المتصارعين.

٥- أحدثت هذه الإشكالية مزيدا من الشحنات بما وصفت به المتبعين للمتشابه بالزيغ والضلال؛ فجعلت كل فرقة تتبرأ من هذا الوصف وتلصقه بالأخرى.

٦- إعطاء الحق لكل فرقة أن تدعي امتلاكها الحق المطلق باختصاص مبادئها دون غيرها بالمحكم

٧- خلصت الحداثية إلى نتيجة مفادها: لا سبيل إلى التوقف عن هذا التجاوز والاختراق إلا بالتوقف

---

(١) - تحديث الفكر الإسلامي للشرفي صـ ٥٥ـ الناشر: المدار الإسلامي، بيروت، ط: ٢، في ٢٠٩م.

(٢) - راجع: الكتاب والقرآن لشحرور، صـ ٥٥.

(٣)- راجع: ظاهرة التأويل الحديثة في الفكر العربي المعاصر، تأليف: خالد بن عبد العزيز السيف، صـ ٣٤٢، الناشر: مركز التأصيل للدراسات والبحوث جدة، ط: ١، في ١٤٣١هـ.

(٤) - يراجع: تاريخية الفكر العربي الإسلامي، محمد أركون، صـ ١٤٥.

عن التعامل مع القرآن ذاته[١].

المطلب الثالث: نماذج من فهم الحداثيين للمحكم والمتشابه.

وأكتفي-نظرا لطبيعة البحث- بنموذجين والجواب عنهما بإيجاز:

*- الأول: تشابه عليهم قول الله تعالى: {إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا}[٢] مع قوله تعالى: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}[٣]؛ فزعموا على حد تعبيرهم: أن الأولى تنفي المغفرة مع الإشراك بالله، وأن الثانية تدخل الإشراك في الذنوب المغفورة لعموم الآية[٤].

والجواب المختصر المفيد:

أولا: هم يلمزون بالتناقض من طرف خفي، وهذا فهم عليل.

ثانيا: أن غاية ما ترنوا إليه الآية الثانية مغفرة الذنوب إلا ما كان كفرا وإشراكا بالله-جل جلاله.

ثالثا: لا تعارض بين الآيتين فقد زال تشابه إحدى الآيتين حملها والرجوع بها إلى الأخرى، جاء في الجامع لأحكام القرآن.. {إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ} وهذا من المحكم المتفق عليه الذي لا اختلاف فيه بين الأمة. {وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} من المتشابه الذي قد تكلم العلماء فيه. فقال محمد بن جرير الطبري: قد أبانت هذه الآية أن كل صاحب كبيرة ففي مشيئة الله تعالى إن شاء عفا عنه ذنبه، وإن شاء عاقبه عليه ما لم تكن كبيرته شركا بالله تعالى. وقال بعضهم: قد بين الله تعالى ذلك بقول: {وَيَغْفِرُ

(١) - يراجع: النص القرآني أمام إشكالية النية والقراءة، طيب تيزيني، جـ / ٥، ضمن مشروع: رؤية جديدة للفكر العربي من بواكيره حتى المرحلة المعاصرة- في اثني عشر جزءً من صـ ٢٤٠إلى ٢٥٢، دار الينابيع للطاعة والنشر والتوزيع – دمشق.

(٢) - سورة النساء الآية ٤٨.

(٣) - سورة الزمر الآية ٥٣.

(٤) - السابق ٥/ ٢٢٤٦ وما بعدها.

مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ } فاعلم أنه يشاء أن يغفر الصغائر لمن اجتنب الكبائر ولا يغفرها لمن أتى الكبائر. وذهب بعض أهل التأويل إلى أن هذه الآية ناسخة للتي في آخر "الفرقان". قال زيد بن ثابت: نزلت سورة "النساء "بعد "الفرقان" بستة أشهر، والصحيح أن لا نسخ؛ لأن النسخ في الأخبار يستحيل"[١]؛ فتأويل الحداثيين هدر للنص وليس بيانا.

النموذج الثاني:

تشابه عليهم قول الله تعالى: {فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا }[٢] مع قول الله تعالى: { فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا [٣]. فالأولى-على حد تعبيرهم- تنفي إمكانية الحسم الإنساني الحر، والثانية تقر بحرية الإنسان في الاختيار[٤].

الجواب المختصر المفيد: جاء في التفسير الكبير" قال الكعبي الآية دالة على أن العبد متمكن من الخير والشر وأنه غير مجبور على عمل بعينه أصلاً لأن قوله { فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا }إنما يليق بالقادر على الفعل المتمكن منه كيف شاء وأراد أما المجبور على أحد الطرفين الممنوع من الطرف الثاني فهذا لا يليق به"[٥] ومن الآيات التي عدوها محكمة خدمة لأفكارهم المنحرفة: قول الله-تعالى{ إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آَمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ

---

(١) - الجامع لأحكام القرآن، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١ هـ)، ٥/ ٢٤٥-٢٤٦، المحقق: هشام سمير البخاري، الناشر: دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة في: ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م.

(٢) - سورة الأنعام من الآية ١٢٥.

(٣) - سورة يونس من الآية ١٠٨.

(٤) - النص القرآني أمام إشكالية النية والقراءة ٥/ ٢٤٨ وما بعدها.

(٥) - مفاتيح الغيب، المؤلف: الإمام العالم العلامة والحبر البحر الفهامة فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، ٢٠/ ١٣٧، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م، الطبعة: الأولى.

وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ }[1]؛ فقد عد الحداثيون- لزيغ قلوبهم هذه الآية محكمة في تقرير إيمان الكفار[2] وهذا الفهم الخاطئ للآيات إنما جاء بسبب بترها من سياقها، والسير بها نحو فكر محدد، جاء في ظاهرة هدر السياق: "وهذا الإشكال والتشابه النسبي في الألفاظ أو المعاني إنما حصل بقطع النص عن سياقه، ولذا لا يرتفع إشكاله إلا برده إلى المحكم من النصوص والمعرفة التامة بسياقها وما يحف بها من القرائن المقالية والمقامية [3].

وغاية ما يتبين من الآية من خلال سياقها الذي جاء في معرض الحديث عن أنباء بني إسرائيل: أن الله تعالى يقبل الإيمان من كل من يعتقده دون النظر إلى طائفته السابقة أو عقيدته السالفة أو فكره المنصرف.، وقد جاء في تفسير الرازي ما يدل على هذا البيان بهذا السياق؛ فقال: "لما ذكر حكم الكفرة من أهل الكتاب وما حل بهم من العقوبة أخبر بما للمؤمنين من الأجر العظيم والثواب الكريم دالاً على أنه سبحانه وتعالى يجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته"[4].

والله أعلى وأعلم

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وأصحابه

ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين

(١) – سورة البقرة الآية ٦٢

(٢) – يراجع: جوهر الإسلام، محمد سعيد العشماوي، صـ ١٥١، مؤسسة الانتشار العربي-بيروت في ٢٤، الطبعة:٣.

(٣) – ظاهرة هدر السياق صـ ٨٣.

(٤)- مفاتيح الغيب، المؤلف: الإمام العالم العلامة والحبر البحر الفهامة فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، ٣/ ٩٧، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت – ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠ م، الطبعة: الأولى.

خاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وتزداد، وصلاة وسلاما على خير العباد، ومن اهتدى بهديه إلى يوم التناد، وبعد؛ فقد أنهيت بفضل الله-هذا البحث وهو جهد المقل، وأحسبني والله أعلم قد وقفت أو قاربت على ما عزمت عليه من بيان أثر الفهم السقيم للمحكم والمتشابه على بعض المذاهب وكيفية التصحيح، وقد توصل الباحث إلى نتائج وتوصيات جديرة-على حد علمي- بأخذها في الاعتبار.

أولا نتائج البحث:

*- أن المحكم ما كان واضحًا بنفسه غير مفتقر في بيان معناه أو المراد منه إلى غيره، والمتشابه، ما لا يتبين معناه من خلال لفظه، بل لا بد من الرجوع إلى محكم يبين معناه أو المراد منه.

*- أن الاشتباه الواقع في بعض الآيات إنما هو عند المتلقي وليس في الآيات ذاتها.

*- لا يوجد في آيات القرآن متشابهات على الإطلاق لكل المتلقين على اختلاف العصور

* جميع الأصول التي انفردت بها الفرق المخالفة لمنهج أهل السنة في التفسير مرجعها إلى المتشابهات وليس لواحد منها سند صحيح أو صريح من محكم القرآن أو السنة.

*- أن مرجع البيان عند الفرق المنحرفة الآيات المتشابهة بتأويلها تأويلا بعيدا أو فاسدا

ثانيا: من توصيات البحث:

يوصي الباحث بإعداد مشروع متكامل لاستقراء الانحرافات الناتجة عن الفهم الخاطئ للمحكم والمتشابه لكل الفرق والمذاهب المتعددة في القديم والحديث، وأسباب الانحراف، وكيفية التصحيح دراسة مستفيضة والرد عليها.

ثبت أهم المراجع والمصادر

أولا: القرآن الكريم-جل من أنزله.

ثانيا: أهم المراجع والمصادر:

١- الإبانة عن أصول الديانة، المؤلف: علي بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعري أبو الحسن، الناشر: دار الأنصار- القاهرة، الطبعة الأولى في: ١٣٩٧م، تحقيق: د. فوقية حسين محمود.

٢- الاتجاهات المنحرفة في التفسير دوافعها ودفعها، محمد حسين الذهبي، ط: ١ في ١٩٧٦م، الناشر: دار الاعتصام القاهرة.

٣- الإتقان في علوم القرآن، المؤلف: جلال الدين عبدالرحمن السيوطي، ط: دار الفكر -لبنان، الطبعة الأولى في ١٤١٦، تحقيق: سعيد المندوب.

٤- الاحتجاج للطبرسي الشيعي، تعليقات وملاحظات محمد باقر الخرسان، طبع في مطابع النعمان النجف الأشرف حسن الشيخ ابراهيم الكتبى.

٥- الاعتصام لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، عناية محمد رشيد رضا، في ١٤٠٦هـ دار المعرفة، والمكتبة التجارية الكبرى-مصر.

٦- الاعتقادات للقمي الشيعي، طبع إيران في ١٢٧٤هـ.

٧- الأمالي، المؤلف: محمد بن علي القمي، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية مؤسسة البعثة.

٨- الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به للقاضي أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق: عماد الدين حيدر، ط: ١، في ١٩٨٦م، عالم الكتب- بيروت.

٩- البرهان في علوم القرآن للزركشي، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، ط: ٢ بيروت.

١٠-تفسير كاظم الشيعي (بحار الأنوار في تفسير المأثور للقرآن، المؤلف: كاظم المراد خانى، الناشر: مؤسسة الطور للنشر ط: ١، في ١٤١١هـ، طهران.

١١-تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، شرح: السيد أحمد صقر، مكتبة: دار التراث-القاهرة، ط: ٢.

١٢-تاريخ الأمم والملوك، المؤلف: محمد بن جرير الطبري أبو جعفر، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت، ط: ١في: ١٤٠٧هـ.

١٣- تاريخية الفكر العربي الإسلامي، محمد أركون، مركز الإنماء القومي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط: ٣، في: ١٩٩٨م.

١٤- تحديث الفكر الإسلامي للشرفي، الناشر: المدار الإسلامي، بيروت، ط: ٢، في ٢٠٠٩م.

١٥- تفسير ابن عادل (اللباب في علوم الكتاب)، المؤلف: أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي، ١١٢٨٦، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤١٩ هـ -١٩٩٨ م، الطبعة: الأولى، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض.

١٦-تفسير ابن كثير، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي المتوفى: ٧٧٤ هـ، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية - ١٩٩٩م.

١٧- تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)، المؤلف: محمد بن محمد العمادي أبو السعود، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١٨-تفسير البغوي (معالم التنزيل)، المؤلف: أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، المتوفى ٥١٦ هـ، المحقق: حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر- عثمان جمعة ضميرية- سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة في: ١٩٩٧م.

١٩- تفسير البيضاوي، المؤلف: ناصر الدين أبو الخير عبدالله بن عمر بن محمد البيضاوي، دار النشر: دار الفكر – بيروت.

٢٠- تفسير الخازن المسمى (لباب التأويل في معاني التنزيل، المؤلف علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، دار الفكر بيروت/ لبنان / ١٩٧٩م.

٢١- تفسير الرازي (مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير) المؤلف: فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، المتوفى: ٦٠٦هـ، دار الكتب العلمية-بيروت - ٢٠٠٠ م، الطبعة: الأولى.

٢٢-تفسير الزمخشري المسمى: (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،

المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، دار النشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق: عبد الرزاق المهدي.

٢٣- تفسير الشوكاني (فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في التفسير للشوكاني؛ ١/ ٣١٧، ط: دار لفكر بيروت.

٢٤-تفسير الطباطبائي الشيعي (الميزان في تفسير القرآن للمفسر، المؤلف: محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات-لبنان، الطبعة الخامسة في ١٩٨٢م.

٢٥-تفسير القرطبي المسمى: (الجامع لأحكام القرآن)، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١ هـ)، المحقق: هشام سمير البخاري، الناشر: دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: ٢٠٠٣ م.

٢٦-تفسير القمي؛ علي بن ابراهيم الشيعي، منشورات مكتبة الهدى، صححه وعلق عليه، السيد طيب الموسوي الجزائري، مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر قم – ايران.

٢٧- تفسير الطاهر بن عاشور (التحرير والتنوير) دار سحنون للنشر والتوزيع - تونس - ١٩٩٧ م.

٢٨- تفسير الطبري (جامع البيا ن في تأويل القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، المتوفى: ٣١٠ هـ، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: ١، في: ٢٠٠٠ م.

٢٩- تفسير العياشي الشيعي، المؤلف: محمد بن مسعود، تحقيق وتعليق، السيد هاشم الرسولي المحلاتي تصدى لطبعه ونشره، السيد محمود الكتابچي واولاده صاحب المكتبة العلمية، الإسلامية تهران سوق الشيرازي.

٣٠- تفسير كاظم الشيعي المسمى (بحار الأنوار في التفسير المأثور للقرآن) المؤلف: كاظم المراد خاني، الناشر: مؤسسة الطور للنشر ط: ١، في ١٤١١هـ، طهران.

٣١- تفسير كنز الدقائق، تأليف: محمد المشهدي ابن محمد رضا بن إسماعيل بن جمال الدين القمي، ٢/ ٢٣٢، مؤسسه النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم تحرير ألفاظ التنبيه (لغة الفقه)،

المؤلف: يحيى بن شرف بن مري النووي أبو زكريا، الناشر: دار القلم-دمشق، ط: ١في، ١٤٠٨هـ.

٣٢-جوهر الإسلام، محمد سعيد العشماوي، مؤسسة الانتشار العربي-بيروت، الطبعة: ٣ حقائق التأويل للشريف الرضي، ط: النجف في ١٩٣٦م.

٣٣- الخوارج أول الفرق في تاريخ الإسلام-مناهجهم وأصولهم وسماتهم قديما وحديثا وموقف السلف منهم، المؤلف: الدكتور ناصر عبد الكريم العقل، ط: دار أشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض-المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى في ١٤١٩هـ.

٣٤-دائرة المعارف الإسلامية الشيعية؛ حسن الأمين، ط: بيروت في١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

٣٥-دراسات في علوم القرآن د- محمد بكر إسماعيل، الناشر: دار المنار، ط: ٢ في ١٩٩٩م.

٣٦- الرد على الزنادقة والجهمية، للإمام أحمد بن حنبل، فما بعدها، ط: غراس للنشر والتوزيع-الكويت الطبعة الأولى في ٢٠٠٥م.

٣٧- الزيادة والإحسان في علوم القرآن لابن عقيلة المكي، مركز البحوث بجامعة الشارقة، ط: ١في ٢٠١٦م.

٣٨- سقطة الحداثة والخصوصية الغربية. مجلة البيان، تصدر عن المنتدى الإسلامي، العدد: ١٢٠، مقال للكاتب: وائل عبد الغني.

٣٩- سنن الحافظ ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر- للطباعة والنشر والتوزيع.

٤٠- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ط: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه في ١٩٦١م الشريعة للآجري.

٤١- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تأليف إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين- لبنان، الطبعة الأولى القاهرة - ١٩٥٦ م، والطبعة الرابعة ١٩٨٧م.

٤٢-صحيح البخاري المسمى: (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه)، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ.

٤٣-صحيح مسلم؛ أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، الناشر: دار الجيل

بيروت –دار الأفاق الجديدة- بيروت.

٤٤-ضلالات الإرهابيين وتفنيدها، تأليف أد- سالم أبو عاصي وآخرون، إشراف وتقديم: أد/ محمد مختار جمعة وزير الأوقاف، ط: ١ في ١٤٤١هـ، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٤٥-ظاهرة التأويل الحديثة في الفكر العربي المعاصر، تأليف: خالد بن عبد العزيز السيف، الناشر: مركز التأصيل للدراسات والبحوث جدة،، ط: ١، في ١٤٣١هـ.

٤٦- ظاهرة إهدار السياق في الخطاب الحداثي، دراسة تحليلية نقدية، د/ سعد بن مقبل بن عيسى الحريري، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، ط: ١ في ٢٠١٦م.

٤٧-العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية، تأليف: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، تحقيق: أحمد حجازي السقا، القاهرة، مكتب الكليات الأزهري، ١٣٩٨ م، ط: ١.

٤٨- فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، المتوفى: ٨٥٢ هـ الناشر: دار المعرفة - بيروت، في: ١٣٧٩هـ.

٤٩-فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في التفسير للشوكاني، ط: دار لفكر بيروت.

٥٠-الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، المؤلف: عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي الناشر: دار الآفاق الجديدة – بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٧م.

٥١- الفصل لابن حزم الجزء الخامس، تحقيق: عبدالرحمن عميرة، الناشر: مكتب عكاظ بالرياض في ١٤٠٢هـ.

٥٢- الفقيه والمتفقه، المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي، المعروف بالخطيب البغدادي-المتوفى: ٤٦٣هـ، المحقق: عادل بن يوسف العزازي، الناشر: دار ابن الجوزي بالسعودية، سنة ١٤١٧هـ.

٥٣-القراءة الحداثية للنص الشرعي التاريخية أنموذجا دراسة استقرائية تحليلية، تأليف: علي صالح شعان، صـ ١٢٩.

٥٤- القرآن ونقض مطاعن البرهان، صلاح عبدالفتاح الخالدي، دار النشر: دار القلم-دمشق، ط ١ في ٢٠٠٧م.

٥٥- الكافي للكليني؛ الأصول من الكافي تأليف: محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني الرازي المتوفى سنة ٣٢٨/ ٣٢٩هـ، الناشر: دار الكتب الاسلامية تهران- بازار سلطاني الطبعة الثالثة(١٣٨٨هـ).

٥٦- لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، الناشر: دار صادر-بيروت، ط: ١.

٥٧-مرهم العلل المعضلة في الرد على أئمة المعتزلة المؤلف: عبدالله بن أسعد بن علي اليافعي، الناشر: دار الجيل - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٢م.

٥٨-مباحث في علوم القرآن، د/ صبحي الصالح، الناشر: دار العلم للملايين، ط: ٢٤ في ٢٠٠٠م.

٥٩- المحكم والمتشابه في القرآن الكريم، تأليف: الدكتور إبراهيم عبدالرحمن محمد خليفة صـ ١٩٥-١٩٦، وهي في الأصل رسالته العالمية(الدكتوراه) وطبعت بدار النهضة للنشر بمصر ط: ١ في ٢٠١٢م.

٦٠- المحكم والمتشابه وموقف المفسر منهما، في مجلة الإيضاح العدد: ٣٢لعام ٢٠١٦م، صـ ٢٤٩، للدكتور: طاهر محمود محمد يعقوب.

٦١-المرايا المقعرة نحو نظرية نقدية عربية، تأليف: حمودة، عبد العزيز، ط: عالم المعرفة: سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت، ٢٧٢.

٦٢-معاني القرآن للنحاس؛ أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي المصري، أبو جعفر المتوفى: ٣٣٨هـ، تحقيق: محمد الصابوني، ط: ١ في ١٤٠٩هـ.

٦٣- المغني في أبواب التوحيد والعدل، (إعجاز القرآن) للقاضي عبدالجبار، تحقيق: أمين الخولي، مطابع وزارة الثقافة، في: ١٩٦٠م.

٦٤- المفردات في غريب القرآن للراغب، تحقيق: صفوان عدنان داودي، ط: ٢في ١٤١٨هـ، دار القلم- دمشق، والدار الشامية- بيروت.

٦٥- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، المؤلف: علي بن إسماعيل الأشعري أبو الحسن، الناشر: دار إحياء التراث العربي-بيروت، ط: ٣، تحقيق: هلموت ريتر.

٦٦-مقاييس اللغة، المؤلف: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، الطبعة: ١٩٧٩م.

٦٧-المكتفي في الوقف والابتداء، المؤلف: عثمان بن سعيد بن عثمان، أبو عمرو الداني، حققه: محيي الدين رمضان، دار عمان، ط: ١ في ١٤٢٢هـ.

٦٨-الملل والنحل، المؤلف: محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٤٠٤هـ، تحقيق: محمد سيد كيلاني.

٦٩- مناهل العرفان، المؤلف: محمد عبد العظيم الزرقاني، المبحث الخامس عشر في محكم القرآن ومتشابهه، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات .

٧٠-الموافقات، تأليف: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي، المتوفى: ٧٩٠هـ دراسة وتحقيق:أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر:، دار ابن عفان، الطبعة الأولى / ١٩٩٧م.

٧١-الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ الكويت.

٧٢-الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة. الندوة العالمية للشباب السلمي إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني. ط٤، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٠ هـ.

٧٣- نحو موقف قرآني من إشكالية المحكم والمتشابه، المؤلف: د/ طه العلواني، ط: دار السلام للطباعة والنشر والترجمة -القاهرة-مصر، في ٢٠١٠م.

٧٤-النشر في القراءات العشر، المؤلف: محمد بن محمد الدمشقي، الشهير بابن الجزري، المتوفى سنة ٨٣٣هـ، أشرف على تصحيحه ومراجعته الشيخ: على الضباع شيخ عموم المقارئ المصرية، ط: دار الكتب العلمية-بيروت.

٧٥- النص القرآني أمام إشكالية النية والقراءة، طيب تيزيني، ضمن مشروع: رؤية جديدة للفكر العربي من بواكيره حتى المرحلة المعاصرة- في اثني عشر جزءً، دار الينابيع للطاعة والنشر والتوزيع - دمشق

٧٦-نقد النص، علي حرب، المركز الثقافي العربي-بيروت، ط: ٤ في ٢٠٥م.

٧٧-وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة المؤلف: محمد بن الحسن الحر، المتوفى: ١١٠٤هـ، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان، تحقيق: محمد الرازي، تعليق: أبو الحسن الشعراني.

فهرس موضوعات البحث

المحتويات

الملخص ١٠٥

المقدمـــة ١٠٧

الفصل الأول: المحكم والمتشابه في القرآن تأصيل وبيان ١١١

المبحث الأول: المحكم والمتشابه من منظورهما: اللغوي والاصطلاحي ١١٢

المبحث الثاني: الفهم الخاطئ للمحكم والمتشابه في التفسير: النشأة والأسباب والمظاهر .. ١٢١

المطلب الأول: منشأ الخطأ في فهم المحكم والمتشابه ١٢٢

المطلب الثاني: أسباب الخطأ في التفسير بالفهم السقيم للمحكم والمتشابه في القرآن. ١٢٥

المطلب الثالث: مظاهر الخطأ في التفسير بالفهم السقيم للمحكم والمتشابه في القرآن الكريم. ١٢٦

المطلب الرابع: مناهج المتبعين لمتشابه القرآن. ١٣١

الفصل الثاني (الجانب التطبيقي) ١٣٦

المبحث الأول: الفهم السقيم للمحكم والمتشابه في الاتجاه الخارجي وبيان فساده. ١٣٦

المطلب الأول: من أسس التأويل للقرآن الكريم في الفكر الخارجي ١٣٧

المطلب الثاني: من مظاهر وآثار المبادئ الخارجية في الفهم السقيم للمحكم والمتشابه. ١٣٨

المبحث الثاني: الفهم السقيم للمحكم والمتشابه في الاتجاه الشيعي وطرق دفعه ١٤٣

المطلب الأول: أسس التأويل بالمحكم والمتشابه في الاتجاه الرافضي بين التنظير والتطبيق. ١٤٤

المطلب الثاني: من مظاهر وآثار فهم المحكم والمتشابه في الاتجاه الرافضي بين التنظير والتطبيق. ١٤٦

المطلب الثالث: نموذج حاكم من انحرافات الشيعة بالفهم السقيم للمحكم والمتشابه والجواب عنه ١٥٢

المبحث الثالث: الفهم السقيم للمحكم والمتشابه في الاتجاه الاعتزالي وبيان رده ١٥٥

المطلب الأول: من أسس التأويل القرآني في الفكر الاعتزالي ١٥٥

المطلب الثاني: نموذج حاكم من الفهم السقيم للمحكم والمتشابه في الفكر الاعتزالي.. ١٦٠

المبحث الربع: الفهم الحداثي الكليل للمحكم والمتشابه في القرآن، وكيفية دحضه ١٦٣
المطلب الأول: من أسس التأويل في الفكر الحداثي ١٦٤
المطلب الثاني: فهم الحداثيين السقيم للمحكم والمتشابه في القرآن الكريم. ١٦٤
المطلب الثالث: نماذج من فهم الحداثيين للمحكم والمتشابه..... ١٦٦
خاتمة ١٦٩
ثبت أهم المراجع والمصادر ١٧٠
فهرس موضوعات البحث ١٧٧